افتتاحية العدد



الزيارة الرسمية للرئيس الفرنسى إلى أرمينية

بقلم : بيرج ترزيان

قام الرئيس الفرنسى نقولا ساركوزى بزيارة رسمية إلى أرمينية يومىّ ٦ ، ٧ أكتوبر الماضيين فى إطار جولة له فى جنوب القوقاز قام خلالها ـ بعد زيارته للعاصمة الأرمنية يريڤان ـ بالتوجه إلى كل من باكو وتبليسى عاصمتىّ أذربيجان وچورچيا ومكث فى كل منهما لعدة ساعات فقط .

وقد جاءت فى وسائل الإعلام تعليقات متباينة عن هذه الزيارة منها ما ورد بشأن طول مدتها فى أرمينية مقارنة بقصر مدة زيارتيه لكل من باكو (ساعتان و ٤٠ دقيقة) وتبليسى (ثلاث ساعات) .

وقد علّقت مجلة «موسكوڤسكى نوڤوستى» على ذلك بأن ساركوزى أبدى خلال زيارته إلى جنوب القوقاز اهتماماً أكبر بأرمينية نظراً لما للوبى الأرمنى من تأثير كبير على الساحة السياسية الفرنسية ، وأن ساركوزى يُحاول من خلال زيارته إلى يريڤان كسب الأرمن الفرنسيين إلى صفه . وتردد هذا الرأى فى وسائل الإعلام التركية أيضاً حيث كتبت مثلاً جريدة «حرييت» أنه نظراً إلى أن نصف مليون من الأرمن الفرنسيين سيُساندون فرنسوا أولاند مرشح الحزب الاشتراكى فى الانتخابات الرئاسية الفرنسية حيث أنهم «مستاءون» من موقف ساركوزى (السابق) إزاء موضوع الإبادة الأرمنية ، وعليه فإن ساركوزى يسعى إلى استرضاء الأرمن الفرنسيين .

وهذان التعليقان يُمكن الرد عليهما بأن هناك جالية تركية فى فرنسا لا تقل عدداً عن الأرمن الفرنسيين ، علاوة على أن الشراكة فى المجالين التجارى والاقتصادى بين فرنسا وتركيا أوسع نطاقاً عنها بين فرنسا وأرمينية .

وكان ساركوزى قد قام يوم ٥ أكتوبر الماضى قبيل سفره إلى جنوب القوقاز بالاتصال الهاتفى بكل من أرمينية وأذربيجان وطالبهما بـ «الأخذ بمخاطرة السلام» والعودة إلى التفاوض بغية تسوية مشكلة ناجورنو قره باغ .

أما بالنسبة لچورچيا ، فكان فى برنامج ساركوزى إجراء محادثات مع الرئيس ميخائيل سجاشفيلى بشأن علاقات چورچيا المتوترة مع روسيا والتى لازالت على حالها منذ الحرب القصيرة التى اندلعت فى عام ٢٠٠٨ بين الدولتين إبان انفصال كل من أوسيتيا الجنوبية وأبخازيا عن چورچيا .

وتجدر الإشارة إلى أن ساركوزى قد توسط بين چورچيا وروسيا لوقف إطلاق النار فى المواجهة المسلحة التى حدثت بينهما منذ ثلاث سنوات عندما كانت فرنسا تتبوأ رئاسة الاتحاد الأوربى .

*   *   *

وبالنسبة لأرمينية ، لقد قام ساركوزى فى اليوم الأول لزيارته بالذهاب إلى إتشميادزين ـ المركز الروحى الأعلى للأرمن ـ حيث استقبله الجاثليق كاركين الثانى جاثليق كل الأرمن . ثم توجه من هناك بمرافقة الرئيس الأرمنى إلى النصب التذكارى الضخم للإبادة الأرمنية «دزيدزناجابرت» بالقرب من يريڤان حيث وضع الرئيسان الزهور على النصب ، وزار ساركوزى كذلك متحف الإبادة الملحق بالنصب التذكارى ، وكتب فيما كتبه فى سجل الزيارات الرسمية «فرنسا لا تنسى» .

وقال ساركوزى خلال تلك الزيارة فى حديث أدلاه للصحافة «إذا لم تعترف تركيا بالإبادة الأرمنية حتى نهاية هذا العام كما فعلت دول كبرى أخرى مثل ألمانيا وفرنسا ، فإننا سنلجأ إلى مبادرات أخرى بما فى ذلك إصدار قانون تجريم نفى حدوث الإبادة الأرمنية» . وأضاف أيضاً أن الإنكار الجماعى أكثر خطورة من الإنكار الفردى .

واستكمل ساركوزى برنامج اليوم الأول لزيارته بأن قام فى المساء بالتجول فى ميدان الجمهورية فى يريڤان .

وفى صباح اليوم الثانى للزيارة حضر مع الرئيس الأرمنى افتتاح منزل ومتحف شارل أزنافور فى يريڤان ، ويُوجد فى إحدى قاعات هذا المنزل الذى يعلو أربعة طوابق متحف ومعرض بمدخل مستقل من الخارج تُعرض فيه معروضات متصلة بحياة الفنان وسيرته الإبداعية ، كما تُوجد قاعة أخرى تسع من ١٢٠ إلى ١٥٠ شخص مخصصة للندوات والعروض الغنائية .

وهذا المبنى هدية من أرمينية إلى شارل أزنافور وهو ملك للدولة .

وبعد افتتاح المتحف قام الرئيسان بعقد اجتماع ثنائى فى مقر الرئاسة الأرمنية منح الرئيس الأرمنى خلاله نظيره الفرنسى قلادة «المجد» وذلك «لقيامه بتوطيد علاقات الصداقة التقليدية الأرمنية الفرنسية ولدوره فى تعميق وتوسيع التعاون المتكامل بين أرمينية وفرنسا وكذلك لإسهامه الشخصى الكبير فى عملية تأمين السلام والأمن الدوليين» .

وقد انعقدت بالتوازى مع الاجتماع الثنائى للرئيسين الأرمنى والفرنسى اجتماعات للوزراء المشتركين فى الوفدين الرسميين للجانبين بُحثت خلالها الأمور المتعلقة بتطوير العلاقات الأرمنية الفرنسية فى المجالات المختلفة .

وتلى الاجتماع الثنائى للرئيسين انعقاد مؤتمر صحفى مشترك لهما بحضور الصحفيين الأرمن والفرنسيين والأجانب .

وبدأ المؤتمر الصحفى بكلمة من الرئيس الأرمنى الذى نوّه فيها أن علاقات أرمينية مع فرنسا مهمة ، ويرجع ذلك لعوامل عديدة منها العلاقات التاريخية الأرمنية الفرنسية الوطيدة والدور المرموق لفرنسا على الساحة الدولية وصفة فرنسا كرئيس مشارك فى فريق مينسك فى إطار منظمة الأمن والتعاون فى أوربا وكذلك وجود جالية أرمنية فرنسية تعدادها نصف مليون بخلاف عوامل عديدة أخرى .

وأكد الرئيس سركيسيان بأن الاحتفال بالعيد العشرين لاستقلال أرمينية يكتسب أهمية خاصة بالزيارتين المتبادلتين للرئيسين ، مما يُعد دليلاً رمزياً يشهد على الحوار القائم على مستوى عالٍ بين الطرفين .

وقد أشار الرئيس الأرمنى إلى أنه تم استعراض العلاقات التجارية والاقتصادية بين البلدين ، وأن الرئيس الفرنسى أبدى استعداده لتشجيع الشركات

الفرنسية للاشتراك فى المشروعات التنموية فى أرمينية ، كما أشار الرئيس سركيسيان إلى أنه تم تبادل الآراء بالنسبة لموضوع قره باغ ، وأن أرمينية متأكدة من أن موقف فرنسا غير المنحاز والمتوازن ينظر إليه الرأى العام فى أرمينية على أنه مهم من أجل إرساء السلام الدائم ودفع التعاون الإقليمى فى منطقة جنوب القوقاز .

وبالنسبة للعلاقات الأرمنية التركية ، قال نقولا ساركوزى للصحفيين أنه من غير المقبول أن تظل الحدود الأرمنية التركية مغلقة خلال عام ٢٠١٢ ، وأكد ساركوزى أنه شجّع نظيره الأرمنى على الاستمرار فى الحوار من أجل تطبيع العلاقات الأرمنية التركية . كما قال ساركوزى أنه طلب من سيرج سركيسيان الاستمرار فى بذل الجهود من أجل إرساء السلام بين أرمينية وأذربيجان وهى ضرورة نابعة من مصالح البلدين .

ونوّه ساركوزى إلى أن أى حدث فى أرمينية يحظى باهتمام فرنسا حيث تُوجد بها جالية أرمنية لها دور مهم وفعّال .

وعند الحديث عن الإبادة الأرمنية فى عام ١٩١٥ ، أشار إلى أن فرنسا أمدت يد العون إلى الأرمن بعد الإبادة واستقبلت الآلاف منهم لديها ، وتعلم أرمينية جيداً أنها اليوم فى عام ٢٠١١ ليست وحيدة ويُمكن أن تعتمد على صداقة فرنسا ومساندتها السياسية .

وأكد الرئيس الفرنسى على أهمية زيارته لأرمينية باعتبارها تقع فى موقع إستراتيچى على مفترق الطرق بين روسيا وتركيا وإيران .

ثم حضر بعد ذلك الرئيسان الافتتاح الرسمى لتمثال رائع للمثال العالمى أوجوست رودان قدمته فرنسا لنصبه فى ميدان فرنسا فى العاصمة الأرمنية ، وقد أثريت يريڤان بنموذج فريد من التراث الإنسانى العالمى .

وتحدث الرئيسان أمام الجمهور المحتشد فى الميدان ، حيث وجه ساركوزى كلمة إلى الشعب الأرمنى ـ دون الأخذ فى الاعتبار ما قد يُثير قوله من استياء لدى الرأى العام التركى ـ قائلاً : «إن أرمينية وفرنسا دولتان شقيقتان إلى الأبد» وأتم كلمته ناطقاً بالأرمنية «تحيا أرمينية وتحيا فرنسا» . ولم تكن تلك الكلمات هى الوحيدة التى استخدمها الرئيس الفرنسى بالأرمنية ، فعندما أشار إلى أحداث بداية القرن العشرين قال أنه يجب تسميتها باسمها «الإبادة» وردد تلك الكلمة بالأرمنية .

أما الرئيس سركيسيان فقد قال بهذه المناسبة أنها فرصة مشرفة له أن يشترك فى مراسم افتتاح تمثال المثال ذى الشهرة العالمية رودان فى هذه المنطقة الجميلة من العاصمة ، وأضاف : «فإذا نظرنا حولنا لن يكون من الصعب ملاحظة أن هذا الميدان محاط من كل جانب برموز قومية محببة للأرمن ومحل تقدير عال لديهم مثل طريق ميسروب ماشدوتس (مبتكر الأبجدية الأرمنية) ومبنى دار الأوبرا الأرمنية ، وتمثال آرام خاتشادوريان ، وكونسرڤاتوار يريڤان وتمثال چوميداس (عملاق الموسيقى الشعبية الأرمنية) ، وتمثال مارديروس ساريان (شيخ المصوِّرين الأرمن الأشهر) ، وتمثال المهندس المعمارى طامانيان (النابغة الذى وضع تصميم مدينة يريڤان) وتمثال الكاتب الأرمنى الأمريكى وليام سارويان ، وهذا الميدان المهم المحاط بقمم الثقافة الأرمنية سُمىّ باسم صديقتنا الغالية فرنسا ، وأعتقد أن هذا الدليل أحسن شهادة لمواقف فرنسا تجاه الشعب الأرمنى وتعكس قيمة ومعنى العلاقات الأرمنية الفرنسية» .

وبعد ذلك توجه الرئيسان إلى مطار يريڤان حيث غادره الرئيس الفرنسى إلى باكو .

* * *

واستكمالاً للصورة الشاملة للزيارة الرسمية للرئيس الفرنسى إلى أرمينية وملابساتها ، تجدر الإشارة إلى بعض الأحاديث الأخرى التى أدلى بها إلى وسائل الإعلام المختلفة .

فقد قال ساركوزى خلال حديثه إلى مجلة «لى نوفيل دارمينى» وهى دورية شهرية أرمنية ناطقة بالفرنسية وتصدر فى فرنسا «إن بلداً كبيراً مثل تركيا إذا اعترف بالأيام السوداء فى تاريخه ، فإن فرنسا وأرمينية ستعتبران ذلك بمثابة خطوة نحو المصالحة» .

وأكد ساركوزى «أنه لا يُمكن أن يكون هناك سلام دائم بإنكار عذاب الآخر ، ولا يُمكن أن يكون هناك سلام دائم بنفى الأدلة التاريخية ، ولو أن بلداً كبيراً مثل تركيا وُجدت لديها القوة للإقدام على مثل هذه الخطوة ، فإن ذلك سيكون كافياً حيث أن فرنسا تعترف بالإبادة الأرمنية بقوة القانون ، وإذا لم تُبادر تركيا إلى تلك الخطوة واستمرت فى نفى الإبادة فإن فرنسا تتوق فى الذهاب إلى مدى أبعد بإدخال تعديلات فى تشريعاتها تُجرم نفى الإبادة الأرمنية» . وأضاف ساركوزى أن الوقت ليس بلا حدود ، فقد مرّ وقت كافى للتفكير منذ عام ١٩١٥ حتى اليوم ـ عام ٢٠١١ ـ وأنه لا يُحدد مهلة معينة إذ أن لديه الأمل فى أن الشعب التركى والقيادة التركية سيتجاوبان بطريقة صحيحة ، وأعرب عن أمله فى أن يحدث كل ذلك خلال فترة رئاسته (أى المدة الباقية منها) .

وفى حديث آخر أدلى به إلى وكالة أنباء «ميديا ماكس» الأرمنية قال ساركوزى : «إن فرنسا فخورة بأنها كانت الأولى فى الاعتراف بالإبادة الأرمنية بقوة القانون . . . وأن كل شخص يجب أن يكون لديه الجسارة فى تسمية الإبادة باسمها» ، كما قال فى نفس الحديث فى مكان آخر «إنه فى أحيان كثيرة يتطلب إرساء السلام قوة أكبر من الاستمرار فى الحرب ، ولا يُوجد خطر أكبر من خطر الحفاظ على الوضع الراهن الذى يولّد مشاعر الثأر ويُبعد كل يوم احتمالات الوصول إلى السلام عن مسارها ، ولا يُوجد بلد يعرف ماذا يعنى ناجورنو قره باغ لأرمينية بقدر ما تعرفه فرنسا ، وقد حان الوقت لحل المشكلة (ناجورنو قره باغ) وسأقوم بتقديم هذه المشورة فى باكو إلى الرئيس إلهام علييف ، إننا يُمكن لنا أن نُرافقكم ، إلا أنه لا يُمكننا إرساء السلام بدلاً منكم» .

* * *

وعلى الصعيد التركى ، فقد جاء فى وسائل الإعلام التركية أن وزير الخارجية التركى أحمد داود أوغلو قد انتقد الدعوة التى وجهها الرئيس ساركوزى إلى تركيا أثناء تواجده فى يريڤان للاعتراف بالإبادة الأرمنية قائلاً : «إن دولة لها ماضى استعمارى ليس لها الحق فى إعطاء الدروس لتركيا» .

من جانب آخر ، نشرت وكالة «دوغان» التركية خبراً جاء فيه أن التان تان النائب فى البرلمان التركى وعضو حزب السلام والديمقراطية الكردى قال فى كلمة ألقاها فى مؤتمر علمى عُقد فى جامعة «أرتوكلو» بمدينة ماردين : «بصفتى رجل سياسة أصف المذابح الأرمنية التى حدثت فى عام ١٩١٥ بإبادة الجنس» ، ثم أضاف : «إننا كيفما وصفنا تلك الأحداث إبادة جنس ، چينوسيد ، مذبحة كبرى ، يجب أن نسعى إلى توضيح ما إذا كانت تلك الأحداث مخططاً لها أم لا ؟ ومن الذى قام بها ؟ أهو حزب الاتحاد والترقى ؟ أم كل الأتراك والأكراد والمسلمين ؟ وعلى كل الأحوال فإن المهم هو النتيجة ، ونتيجة تلك الأحداث أنه كان عدد سكان هذه المنطقة آنذاك ١٣ مليون نسمة كان ١,٢ مليون منهم من الأرمن ، أما عدد سكان

الجمهورية التركية اليوم ٧٥ مليون نسمة ، ولكن عدد الأرمن لا يتجاوز ٤٠ ألف نسمة .

* * *

وبعد عودته إلى فرنسا اختص الرئيس ساركوزى الرئيس الأرمنى سيرچ سركيسيان بخطاب شكر على الاستقبال ذى المستوى العال الذى قوبل به فى أرمينيــة ، ومن اللافت للنظر أنه لم يُرسل مثل ذلك الخطاب سواء إلى باكو أو تبليسى ، وقد جاء فى ذلك الخطاب «أن الزيارة الرسمية التى قمتُ بها . . . . تبقى منها مشاعر التأثر العميقة التى عشتها أمام النصب التذكارى للإبادة عندما كنتُ أقدم واجب الاحترام لذكرى شهداء حكم الإعدام الذى نُفذ فى أبناء شعبكم فى ٢٤ أبريل ١٩١٥ ، وتأكدوا أن فرنسا لن تتأخر عن تعهدها طالما أن تلك المذابح لم يُعترف بها كما يجب من قبل مقترفيها» كما جاء فى نفس الخطاب «إن فرنسا تعتبر أرمينية صديقة وشقيقة» . وينهى الرئيس خطابه بقوله «**عزيزى سيرچ** إنى أتمنى لأرمينية مستقبلاً يعمه السلام والرخاء . . . وأتمنى أن تتوج رسالتكم كرئيس دولة بالنجاح الذى تستحقونه بالفعل» .

والجدير بالإشارة إليه أنه فى سابقة قلما تتكرر خرق الرئيس الفرنسى العرف السائد ـ إذ يُخاطب رئيس الدولة رؤساء الدول ـ وأرسل بعد زيارته الرسمية إلى أرمينية خطاب شكر وتقدير إلى وزير الخارجية الأرمنى إدوارد نالبانديان .

وقد شغل وزير الخارجية الأرمنى منصب سفير بلاده فى باريس فى الفترة من ١٩٩٩ إلى ٢٠٠٨ قبيل اختياره وزيراً للخارجية فى عام ٢٠٠٨ ، وكان فيما سبق مبعوثاً لأرمينية بالقاهرة فى الفترة من ١٩٩٢ حتى عام ١٩٩٨ .

ولعب السيد نالبانديان دوراً مرموقاً فى تعميق العلاقات الأرمنية الفرنسية إبان تواجده فى باريس . وقد جاء فيما كتبه الرئيس ساركوزى فى خطابه إليه : «أود أن أعبر عن امتنانى الشخصى لاشتراككم فى إعداد زيارتى الرسمية التى كان لى الشرف والسرور للقيام بها إلى أرمينية يومىّ ٦ ، ٧ أكتوبر» .

«وإنى على علم بمدى الأهمية التى تُعيرونها لفرنسا حيث قمتم بالخدمة فيها كسفير لجمهورية أرمينية لمدة طويلة وإنى أقدر إسهامكم المتميز فى زيادة تعميق علاقات الصداقة الوطيدة بين بلدينا . . . » .

«ويُمكنكم أن تظلوا متأكدين أن الثقة المتبادلة التى عززتموها فى العلاقات بين فرنسا وأرمينية بصفتكم وزيراً للخارجية ستخدم بلاشك كقاعدة صلبة لتحقيق الرؤى التى تشكلت خلال لقاءاتنا مع الرئيس سركيسيان فى باريس ثم فى يريڤان وكذلك من أجل تحقيق اتفاقات التعاون التى توصلتم إليها خلال لقاءاتكم مع الوزراء الذين وافقونى أثناء الزيارة الرسمية» .

«وأتمنى لأرمينية مستقبلاً يعمه السلام والرخاء اللذان تستحقهما بحق ، وأن تُسجل نشاطاتكم كرئيس للدبلوماسية الأرمنية كل نجاح حيث أنها جديرة بذلك تماماً . . . » .

* * *

وإذا حاولنا تقييم الزيارة التى قام بها ساركوزى إلى أرمينية فى ضوء ما تم عرضه ، فيُمكن القول بأن تلك الزيارة سلّطت الأضواء على العلاقات الخاصة القائمة بين أرمينية وفرنسا ، وكذلك على المشاكل العالقة بين أرمينية وتركيا (الحدود المغلقة والإبادة) وبين أرمينية وأذربيچان (ناجورنو قره باغ) والموقف الفرنسى الجلى والواضح منها .

متابعــــــة

صورة أرمينية فى المصادر العربية والأجنبية

إعداد : شيماء الشواربى

تحت رعاية الأستاذ الدكتور حسام كامل رئيس جامعة القاهرة ، عقد مركز الدراسات الأرمنية بكلية الآداب جامعة القاهرة خلال يومىّ ١٤ و ١٥ نوفمبر ٢٠١١ م مؤتمره الدولى الرابع عن «صورة أرمينية فى المصادر العربية والأجنبية» . وقد شهدت جلسة الافتتاح كلمات عن تطور العلاقات الأرمنية المصرية وواقعها من الأستاذة الدكتورة زينب أبو سنة مديرة المركز والأستاذ الدكتور معتز سيد عبدالله عميد كلية الآداب وسعادة السفير الأرمنى بالقاهرة د. أرمين ميلكونيان . وعلى مدار أربع جلسات ، قدّم عشرون باحثاً من مصر وأرمينية وسورية ولبنان أطروحاتهم العلمية .

ركزت الجلسة الأولى على «القضية الأرمنية فى الدولة العثمانية» ، وقد استهلها الأستاذ عبد العزيز الدروبى رئيس فرع اتحاد الكتاب العرب بدير الزور فى سورية بتقديم ملامح عامة عن الأصول العرقية للأرمن وتكوين الشخصية الأرمنية وتفاعلاتها الحضارية . وتحدث د. محمد رفعت الإمام أستاذ مساعد التاريخ الحديث والمعاصر بآداب دمنهور فى ورقته عن «سمات القضية الأرمنية فى الكتابات العربية المعاصرة ١٨٧٨ ـ ١٩٢٣م» . وفى هذه الورقة ، رصد د. الإمام ملامح القضية الأرمنية فى المصادر الأدبية من قبيل «المسألة الشرقية» للزعيم المصرى مصطفى كامل و«تاريخ الدولة العثمانية العلية» للزعيم المصرى محمد فريد و «أسباب الانقلاب العثمانى وتركيا الفتاة» للأديب محمد روحى الخالدى و «الدولة العثمانية قبل الدستور وبعده» للكاتب سليمان البستانى و «المذابح فى أرمينية» للعروبى فايز الغصين وغيرهم . كما رصدها فى الكتابات الصحفية الصادرة فى مصر وبلاد الشام والحجاز وغيرها . وخلص د. الإمام فى دراسته إلى أن جميع الكتابات العربية فد اعترفت بوقوع مذابح ضد الأرمن ، ولكن أغلبها رفض فكرة أن تكون هذه المذابح من وحى تعاليم الدين الإسلامى . وأشار الباحث إلى تعدد الكتابات العربية وتنوعها وتكاملها ووقوفها فى مكان مميز ومتميز بين الكتابات الأرمنية والتركية والأجنبية .

وتطرق أ. على ثابت صبرى ـ باحث ماجستير بآداب الإسكندرية ـ فى ورقته إلى دراسة «المذابح الأرمنية ١٨٩٤ ـ ١٨٩٦ م بين الأكاديميين والهواه» . وفى هذه الورقة ، ركز الباحث على المقارنة بين كتاب

«الدولة العثمانية دولة إسلامية مفترى عليها» من تأليف الأستاذ الدكتور عبد العزيز الشناوى أستاذ التاريخ الحديث والمعاصر بجامعة الأزهر وكتاب «تاريخ الشعب الأرمنى منذ القدم حتى اليوم» من تأليف المستشار فؤاد حسن حافظ . وفى ورقته ، اختبر الباحث «الحيادية» و«الموضوعية» لدى الكاتبين ، وأيهما لجأ إلى استخدام منهج البحث العلمى فى الوصول إلى النتائج . ومن المفارقات ، بينما هيمنت الأيديولوچية الإسلامية على رؤية الشناوى ، فقد تحكمت النزعة الإنسانية فى رؤية حافظ .

أما «المذابح الأرمنية فى ضوء مجلة المشير القاهرية ١٨٩٤ - ١٨٩٦ م» ، فقد كانت أطروحة الباحثة نارينيه يرانوسيان باحثة دكتوراه بمعهد التاريخ التابع لأكاديمية العلوم بجامعة يريڤان الحكومية . وتجدر الإشارة إلى أن الصحفى اللبنانى سليم سركيس قد أسس فى نوفمبر ١٨٩٤ م مجلته الشهيرة «المشير» بالقاهرة ، وهى جريدة سياسية انتقادية أدبية . وحسب يرانوسيان ، رصدت «المشير» أحداث المذابح الحميدية بنفس الكيفية التى رصدتها الصحافة العالمية . ولذا ، تُعد مصدراً محورياً لمتابعة هذه المذابح من خلال عشرات المقالات ومئات الأخبار رغم وجود رقابة صارمة من قلم المطبوعات . ويستطيع الباحث تكوين صورة متكاملة عن المذابح الحميدية من خلال مقالات : «أحوال أرمينية» ، «أرمينية» ، «الأزمة الأرمنية» ، «الخبر اليقين عن أرمينية» وغيرها . وتحت عنوان «شعبى الأرمن المحبوب» ، انتقدت «المشير» سياسة السلطان إزاء الأرمن على هذا النحو : «أمر السلطان بتنظيم لجنة تتألف من عضوين من المسلمين واثنين من الأرمن الجريجوريين وواحد من الأرمن الكاثوليك وواحد يونانى . ولماذا ؟ تألفت هذه اللجنة يا حضرات القراء لتذهب إلى ولايات الأناضول التى جرت فيها الحوادث الأخيرة ؛ أى التى جرت فيها المذابح ؛ أى التى لم يبق فيها حجر على حجر ؛ أى التى لم يبق فيها من يملك قوت يومه ؛ أى جهنم ؛ أى تركيا . وماذا تفعل اللجنة ؟ أمر السلطان أن تُقيم بالاكتتابات المالية (الله الله) لأجل ترميم المدارس (وأين التلاميذ ؟) وغيرها من المحال العمومية (وهل أبقى وحوش تركيا من يتردد على المحال العمومية؟) التى خربت أيام الحرب (نعم الحرب . . . بين العساكر المنظمة والنساء والأطفال) .

وتحت عنوان «الأرمن فى الصحافة السورية» كانت ورقة د . نورا أريسيان ـ باحثة أرمنية سورية وعضو اتحاد الكتاب العرب فى دمشق . وفى أطروحتها ، رصدت الباحثة صورة الأرمن بين عامىّ ١٨٧٧ - ١٩٣٠ م . وتكمن أهمية هذه الصحافة فى كونها شاهد عيان على تهجير الأرمن من بلادهم فى شرق الأناضول وما جرى لهم من تذبيح . وتعكس الصحافة السورية مراحل استقرار الأرمن فى سورية وتشكيل الجالية الأرمنية بها . وبصفة عامة ، تُمثل الصحافة السورية وثيقة تاريخية جد مهمة لتوصيف ما جرى للأرمن فى الدولة العثمانية بدءاً من الحقبة الحميدية ومروراً بالفترة الاتحادية وانتهاءً بالحقبة الكمالية .

وكانت أ . آلاء فهيم ـ باحثة ماجستير بآداب الإسكندرية ـ آخر من تحدث فى جلسة القضية الأرمنية عن «الأرمن العثمانيون : قراءة فى مجلة The Armenian Review» . وتجدر الإشارة إلى أن هذه المجلة العلمية المتخصصة فى الشأن الأرمنى تصدر منذ عام ١٩٤٨ فى لوس أنجلوس بالولايات المتحدة الأمريكية . وقد اختارت الباحثة بعضاً من مقالات المجلة التى تناولت موضوعات خاصة بالأرمن فى الدولة العثمانية من قبيل : «دور الأمراء الأرمن فى الدولة العثمانية» ،

«تكوين الملتين الأرمنيتين الكاثوليكية والبروتستانتية بالدولة العثمانية» وغيرها من المقالات التى عالجت النهضة والثقافة والمسرح والفنون وغيرها .

* * *

وتخصصت الجلسة الثانية لـ «الأرمن فى مصر» عبر العصور . وقد استهلها د. أرتور إسرائيليان أستاذ تاريخ العرب والإسلام ورئيس قسم اللغات الشرقية بجامعة يريڤان الحكومية ، ودارت ورقته عن «الأرمن فى الجيش المملوكى بناءً على مصادر عربية» . واستندت الدراسة على تحليل كتاب «المواعظ والاعتبار فى ذكر الخطط والأمصار» من تأليف العلامة تقى الدين أحمد بن على المقريزى . ويحتوى الكتاب على معلومات قيِّمة عن الأرمن فى الجيش المملوكى بمصر والشام . ورصدت الدراسة أعداد الأرمن فى الجيش المملوكى ، وكيفية تنشئتهم وتربيتهم ، ومراحل تدريبهم وتقسيماتهم . وتطرقت الدراسة إلى استعراض أشهر الأمراء والوزراء الأرمن فى الإدارة المملوكية .

وألقى د. جمال كمال محمود الباحث فى التاريخ الحديث دراسة عن «صورة العسكريين الأرمن فى مصر من خلال مصادر العصر العثمانى» . وحسب الدراسة ، شهد العصر العثمانى فى مصر عدداً من الأرمن (المسلمين) الذين وصلوا إلى مرتبة «الأمراء» وحصلوا على وظائف عسكرية وإدارية عليا كالصنچقية والكشوفية . ومن هؤلاء ، ذكر الباحث على سبيل المثال لا الحصر : رمضان أغا الأرمنى الذى تولى الشونة الشريفة وكان أمين البحرين (١٦٦٤ م) ، أحمد أغا الأرمنى سردار المتفرقة ، وهى احدى الفرق العسكرية السبع فى مصر العثمانية . ومن هؤلاء أيضاً : سليمان بك الأرمنى الذى كان من كبار الأمراء فى عصره وتولى كشوفيات المنوفية والغربية والبحيرة ، وتولّى الصنچقية عام (١٦٩٠ م) ، كما تولّى ابنه عثمان چلبى كشوفيات المنوفية والغربية والبحيرة . وكان على بك الأرمنى ممن تولّوا الصنچقية ، كما كان أميناً للعنبر وحاكماً لچرچا ، وله دور مهم فى الصراعات العسكرية التى كانت سمة من سمات مصر العثمانية .

وتناولت ورقة د. ماجد عزت الباحث فى التاريخ الحديث «صورة التجار والصيارفة الأرمن فى الأرشيف المصرى خلال القرن التاسع عشر» . وفى ورقته ، أشار الباحث إلى أن النصف الأول من القرن التاسع عشر شهد تحولات جذرية أسهمت فى أن يتبوأ الأرمن مكانة محورية فى السوق المصرى . وتجدر الإشارة إلى أن والى مصر محمد على باشا (١٨٠٥ ـ ١٨٤٨ م) قد استعان بالأرمن فى إدارته على نطاق ملحوظ ، وقلّد منهم فى وظائف «وكيل تجارى» لمصر فى الخارج ، «صراف باشى الخزينة» ، أى كبير صيارفة الخزانة المصرية . وفى هذا الإطار ، مارس التجار والصيارفة الأرمن مشروعاتهم بحرية واتساع شديدين .

وفى ختام الجلسة ، ألقت الأستاذة الدكتورة سعيدة محمد حسنى أستاذ التاريخ الحديث والمعاصر بجامعة قناة السويس ورقتها عن «الأرمن وثورة ١٩١٩ بين المصادر العربية والوثائق البريطانية» . وفى هذه الورقة ، استعرضت د. سعيدة أحداث شهرىّ مارس وأبريل ١٩١٩ م ، فى مصر من خلال تفنيد الوثائق البريطاينة والمصادر العربية . والمعروف أن سلطات الاحتلال البريطانى فى مصر أرادت أن تُوظف بعض حالات الاعتداء على الأرمن ضد القضية المصرية التى كانت

تُناقش فى فعاليات مؤتمر فرساى بباريس . وبصفة عامة ، أرادت بريطانيا أن تُوحى للعالم بأن الشعب المصرى دموى وإرهابى ولا يستحق الحصول على «الاستقلال» .

* * *

وركزت الجلسة الثالثة على «أرمينية والأرمن فى العصور الوسطى» . وقد افتتحها الأستاذ الدكتور فايز نجيب إسكندر أستاذ تاريخ العصور الوسطى بآداب بنها بورقة عن «علاقة الأمويين بأرمينية فى ضوء كتابات المؤرخ الأرمنى المعاصر غيڤوند ٦٦١ ـ ٧٥٠م» . وحسب رؤيته ، يحتل مصنف المؤرخ الأرمنى غيڤوند وعنوانه «تاريخ حروب وفتوحات العرب فى أرمينية» مكانة مهمة بين مصادر تاريخ أرمينية فى العصور الوسطى لكونه المؤرخ الوحيد المعاصر لأحداث القرن الثامن الميلادى (الثانى الهجرى) . ولذا ، انفرد دون غيره من المصادر الإسلامية والبيزنطية بسرد مفصل لتاريخ أرمينية خصوصاً وعلاقة الأرمن بالفاتحين المسلمين والبيزنطيين والخزر عموماً . هذا ، وقد تعرض غيڤوند فى كتابه إلى ظهور الإسلام ورسوله محمد (ص) ، وركز على الفتوحات الإسلامية لأرمينية فى عهد الخلفاء الراشدين (٦٣٢ ـ ٦٦١ م) ، وتحدث عن تأرجح أرمينية بين السيادة الإسلامية والسيادة البيزنطية إلى أن انتهى بها المطاف بتفضيل الأرمن ـ عن إرادة كاملة ـ السيادة الإسلامية ، وذلك فى مستهل عهد الخليفة الأموى معاوية بن أبى سفيان . وسجّل غيڤوند أن وطنه آنذاك نعم بسلام عميق لم ينعم به فى ظل السيادة البيزنطية . وحظى الخليفة عمر بن عبد العزيز بمديح غيڤوند ؛ إذ قال أنه الأكثر إنسانية وكرماً أثناء ولايته على أرمينية (٧١٧ ـ ٧٢٠ م) .

وتحت عنوان «لمحة موجزة عن التفاعل الحضارى الأرمنى العربى فى العصور الوسطى» ، قدّم د. صالح زهر الدين الباحث اللبنانى المختص فى الشئون الأرمنية ورقته . وحسب د. زهر الدين ، تجلت هذه التفاعلات فى مجالات الطب والفلسفة والثقافة والاقتصاد والسياسة والفنون وغيرها رغم اختلاف اللغة والدين . ولاريب أن مبادئ الإسلام قد مثلّت النموذج فى التعامل مع المسيحيين وضمنهم الأرمن . وفى هذا الإطار ، برزت أسماء من العلماء (العرب) الذين أنتجتهم أرمينية وانتسبوا إلى مدنها باعتراف ياقوت الحموى «فى معجم البلدان» . ومنهم على سبيل المثال ، الفقيه الصالح الأرجيشى ، أبو على إسماعيل القالى ، عبد الرحمن الدبيلى ، حسين الأخلاطى وغيرهم . وفى إطار حركة الترجمة من العربية إلى الأرمنية ، نجد أن أول محاولة كانت فى عام ١٢٢٢ م ، وهى ترجمة كتاب عن «تفسير الأحلام»من تأليف السلطان خلف ـ سلطان سيسيان وخُراسان . وتجدر الإشارة إلى أن أرمينية تضم نقوشاً متعددة ومتنوعة باللغة العربية تندرج تحت تصنيف «النفائس» . ولذا ، فلاغرو أن هناك أكثر من «٤٠» اسماً أرمنياً لخطاطين ونحاتين فى فنون العمارة والخط العربى والزخرفة المعمارية .

أما الأستاذ الدكتور كمال حماد أستاذ القانون الدولى بالجامعة اللبنانية ، فقد ركزت ورقته على موضوع «سياسة دولتىّ الخلافة الأموية والعباسية تجاه أرمينية ٦٤٠ ـ ١٢٢٣ م» . وتجدر الإشارة أن القسم الأموى من الورقة قد تداخل مع ورقة د. فايز إسكندر. ولذا ، سوف نُركز على العلاقات العباسية الأرمنية التى بدأت بإلغاء شبه الاستقلال وفرض الضرائب والجزية مما أدى إلى هجرة الأرمن الكثيفة إلى بلاد الروم . كما

تميز حكم العباسيين بزرع الشقاق والخلافات بين الأمـراء الأرمن (النـخـرار) ممـا زاد من القلاقل والاضطرابات داخل المجتمع الأرمنى ، مع استثناء حصل فى عام ٨٨٥ عندما اعلنت أرمينية استقلالها سارعت دولة الخلافة العباسية بالاعتراف باستقلال أرمينية . كما أرسل الخليفة المعتمد تاجاً ذهبياً لأول ملك على أرمينية المستقلة وهو أشود بجرادونى الأول مما يُعد اعترافاً رسمياً به ملكاً شرعياً على أرمينية . واستمرت علاقات حسن الجوار بين الدولتين حوالى ٢٠٠ سنة إلى جانب التعاون فى المجالات السياسية والاقتصادية والثقافية . ولكن هذه العلاقات قد انقطعت فى القرن الحادى عشر الميلادى عندما سقطت المملكة الأرمنية عام ١٠٤٥ م فى أيدى الإمبراطورية البيزنطية العدو اللدود لدولة الخلافة .

أما د . محمد دسوقى محمد حسن الباحث فى تاريخ العصور الوسطى بآداب دمنهور ، فقد تناول فى ورقته «الدور الأرمنى فى سياسة البابوية الصليبية فى النصف الأول من القرن الرابع عشر الميلادى» . وفى هذه الورقة ، أوضح الباحث بأن مملكة أرمينية الصغرى لم تكن لها فى نظر الغرب الأوربى بداية القرن الثالث عشر تلك الأهمية التى أصبحت لها فيما بعد . فلم تكن آنذاك سوى دولة تابعة للإمارات الصليبية فى الشام، شأنها فى ذلك شأن جزيرة قبرص ، وإن تجاوزت ـ قبل قبرص ـ هذا الدور الثانوى ، وازدادت أهميتها يوماً بعد يوم ، حتى صارت من المحاط الرئيسية على طريق تجارة الشرق فضلاً عن مزية أخرى باعتبارها نقطة بداية ، ذلك أن ملوكها كانوا ـ فى آن واحد ـ أصدقاء للعالم المسيحى الغربى وأتباعاً لخانات المغول . وفى غضون الفترة محل الدراسة ، بدت أرمينية الصغرى وجزيرة قبرص بمثابة حارستين لمراكز العالم المسيحى الأمامية ترثان معاً الرخاء التجارى الذى كانت الإمارات التى أسسها الصليبيون تتمتع به ، كما كانت أرمينية الصغرى تتمتع بمزية أخرى تتمثل فى تلقى البضائع الواردة من داخل آسيا عند ملتقى طرق القوافل ، وكانت الطرق الواقعة فى أقصى الشمال والطرق التجارية المتجهة صوب البحر المتوسط تنتهى عندها . غير أن ما يعيب ذلك الموقع ، أنها كانت شديدة التعرض لغارات المماليك والدمار الذى تُسببه .

وتحت عنوان «دور مملكة أرمينية الصغرى فى الصراع بين الخان المغولى غازان خان ودولة المماليك فى بلاد الشام ١٢٩٥ ـ ١٣٠٤ فى ضوء المصادر العربية» ، تحدث أ . أحمد محمد عبد القوى شعير المعيد بكلية الآداب جامعة دمنهور . ووفقاً لهذه الورقة ، تناولت معظم المصادر العربية هجوم الخان المغولى غازان خان بمساعدة الأرمن على بلاد الشام عام ١٢٩٩ م ، ودخوله مدينة دمشق فى يناير ١٣٠٠ . كذلك تمكن غازان من دخول مدينتىّ القدس والخليل ، وأحدث كثيراً من النهب والسلب . وقد تنوعت المصادر العربية فى وصف هجمات المغول ومن حالفهم من الأرمن والكرج على بلاد الشام .

* * *

وحملت الجلسة الأخيرة عنوان : «أرمينية والأرمن : آراء ورؤى» . وقد افتتحها الأستاذ الدكتور سيد العشماوى أستاذ التاريخ الحديث والمعاصر بآداب القاهرة بدراسة عن «أرمينية . . . أرمنى . . . حول البحث بإبرة عن مصادر غير تقليدية تستكمل الصورة التاريخية ، تذكرة الحكيم داود الأنطاكى نموذجاً» .

وفى هذه الورقة ، بحث د. العشماوى فى كتب الفتاوى ومعاجم البلدان ومعاجم اللغة وكتابات علم تعبير الرؤيا المنامية وكتب الأدوية والعقاقير حيث لاحظ ورود الحديث عن أرمينية والأرمن مع استخدام صيغة «أفعل التفضيل» بخصوصهما أحياناً . على سبيل المثال ، قال بعض الأطباء : البورق نوعان ، مخلوق ومصنوع ، فالمخلوق هو المعدنى ، وهو صنفان أرمنى ومصرى ، والأرمنى أجودهما . ويتكاثر الحديث عن «حجر أرمنى» و «طين أرمنى» مما يدل على اعتناء بعلم تركيب الأحجار «الأطيان المركبة» . وفى كتاب «تعطير الأنام فى تفسير الأحلام» للنابلسى ، ورد : «من رأى أنه فى بلاد الروم فإنه صاحب ثقة بالله تعالى وكذلك بلاد الأرمن» .

وفى ذات الجلسة ، تحدثت د. سحر حسن أحمد على الباحثة فى التاريخ الحديث والمعاصر بمركز تاريخ مصر المعاصر عن «رسوم صاروخان مصدراً للتاريخ المصرى ١٩٢٩ ـ ١٩٣٣ م» . وحسب ورقتها ، يُعد فن الكاريكاتور من الفنون المهمة التى عبرت عن المجتمع المصرى وما دار فيه من أحداث . ويُعد ألكسندر صاروخان أبرز فنانى الكاريكاتور فى مصر ، ولذا ، أطلق عليه النقاد لقب «رائد الكاريكاتور السياسى فى مصر» . ومنذ وصوله إلى مصر فى عام ١٩٢٤ ، وجد هذا البلد العريق يُعانى من الاضطرابات السياسية والمشاكل الاقتصادية والاجتماعية علاوة على الاحتلال البريطانى . ولهذا ، تعاطف مع قضايا الشعب المصرى حتى أنه أخذ يتمصر تدريجياً دون التخلى عن عن جذوره الأرمنية . وقد اتسم الأسلوب الصاروخانى بالحيوية والحركة العنيفة والمبالغات التى تعكس قدراته على اكتشاف بذرة الفكاهة فى جوهر أى موضوع حتى لو كان مأساوياً . والمعروف أنه صاحب شخصية «المصرى أفندى» التى عبرت عن العقل الجمعى المصرى. وباختصار شديد ، عكست رسومات صاروخان فى روزاليوسف والمصوَّر والأخبار وغيرها كل آمال وآلام الشعب المصرى .

أما د. محمد أحمد أحمد إبراهيم مدرس التاريخ الإسلامى بآداب بنى سويف ، فقد دارت أطروحته حول موضوع «أرمينية فى كتابات الجغرافيين المسلمين» . ووفقاً لهذه الدراسة ، أوضح الباحث بأن الأهمية الجغرافية والسياسية لأرمينية برزت فى اهتمام الجغرافيين المسلمين حيث أفردوا لها مساحة كبيرة . ولم تقتصر هذه الكتابات على الجانب الجغرافى فقط ، ولكنها امتدت لتشمل بعض الجوانب التاريخية والاقتصادية والعمرانية فضلاً عن التنوع العرقى واللغوى داخل أرمينية .

وأخيراً تحدث د. أحمد عبد المنعم العدوى الباحث فى التاريخ الإسلامى عن «أرمينية بين العرب والبيزنطيين وطموح النخرار الأرمن : دراسة لأوضاع أرمينية فى عهد الأسرة المروانية ٦٨٤ ـ٧٤٩ م» . وفى هذه الورقة ، سعى الباحث إلى دراسة أوضاع أرمينية خلال تلك الحقبة الحساسة ، ولعلها الأكثر اضطراباً فى تاريخها الوسيط ، وحاول رصد أهم ملامح ذلك الصراع الضارى بين المسلمين والبيزنطيين لبسط النفوذ على أرمينية من جهة ، وأثر ذلك الصراع الداخلى الذى دار على أشدِّه بين النخرار الأرمن على ذلك الصراع .



سياسة مصر الخارجية بعد ثورة ٢٥ يناير وتأثيرها فى محيطها الإفريقى

بقلم : نانيس عبد الرازق

بعد أكثر من ثلاثين عاماً ، قام الشعب المصرى بثورة مجيدة أنهت حقبة طويلة من الفساد الذى نخر فى عظام مصر حتى النخاع وجسّده مشروع التوريث . وترجع الثورة إلى ما عاناه الشعب المصرى من فقر وبطالة واستبداد وقمع للحريات السياسية والاجتماعية على جميع المستويات . وقد حظيت الثورة المصرية بتقدير عالمى واسع خاصة فى ظل حفاظها على سلميتها ، ومشاركة كل أطياف الشعب فيها .

وبعد الثورة فُتح الطريق أمام حدوث تغيرات سياسية واقتصادية واجتماعية فرضت تحديات داخلية وخارجية على مصر والسياسة الخارجية المصرية ، مما سيُؤدى إلى تغييرات جوهرية بها فى المدى المنظور . تجيب هذه الدراسة عن تساؤلين رئيسيين ، الأول هل من الممكن أن ينتقل نموذج الثورة المصرية إلى الدول الإفريقية جنوب الصحراء باعتبار أن دول شمال القارة تشهد ثورة مثل الثورة المصرية؟ والثانى ما هو المتوقع من السياسة الخارجية المصرية بعد الثورة تجاه القارة الإفريقية ؟

بالنسبة للسؤال الأول ، فقد تابعت شعوب إفريقيا جنوب الصحراء ما يجرى من ثورات فى شمال القارة خاصة أن شعوب هذه الدول لديها أنظمة حكم تشبه إلى حد كبير الأنظمة الاستبدادية التى كانت سائدة فى شمال القارة فضلاً عن انتشار البطالة وارتفاع تكاليف المعيشة والفقر حيث كان ارتفاع أسعار الغذاء سبباً للاحتجاجات التى شهدتها دول جنوب القارة مثل احتجاجات موزمبيق أواخر عام ٢٠١٠ .

والملاحظ أن شعوب الدول الإفريقية جنوب الصحراء على الرغم من معاناتها من الظلم والفقر واستبداد النظم الحاكمة بها إلا أنه لا يتوافر لها مقومات القيام بثورات أو احتجاجات على هذه النظم بشكل يُؤدى لإسقاطها ، وهى تلك المقومات التى توافرت للثورة المصرية وساعدتها على تحقيق أهدافها وتتمثل فى :

الإعلام : فالتواجد الإعلامى فى مصر أكبر بكثير من التواجد الإعلامى فى جنوب القارة فى بنين أو الجابون مثلاً ، نظراً لما تحظى به مصر من مكانة ثقافية عالمية وموقع فريد يجعلها دولة محورية فضلاً عن عدد سكانها الضخم مما يُعد أحد أسباب تغطية الإعلام الدولى لما يحدث فيها ، حتى أن تغطية أخبار الثورة

باحثة دكتوراه فى العلوم السياسية
جامعة القاهرة

المصرية طغت على تغطية أحداث الثورة التونسية التى اندلعت قبلها .

الاهتمام الدولى المتمثل فى اهتمام قادة العالم ومتابعتهم للثورة المصرية منذ بداياتها والذى عبروا عنه ببيانات وتصريحات تأييداً للثورة المصرية مثل الرئيس الأمريكى باراك أوباما ورئيس النمسا Heinz Fischer الذى دعا إلى منح الشعب المصرى جائزة نوبل للسلام .

شبكات التواصل الاجتماعى facebook , twitter, YouTube التى استطاعت لعب دور كبير فى تجميع المحتجين ونقل المعلومات والصور والفيديو .

منظمات المجتمع المدنى التى لعبت دوراً فى تنظيم وتعبئة المشاعر وتحويلها إلى أفعال إيجابية ، بل إن المجتمع المدنى كان له دور بعد ذلك فى مساندة الثورة واستثمار التأييد والإعجاب الدولى الذى حظيت به والذى جاء على لسان قادة العالم ومنهم رئيس النمسا ، حيث قام المجلس المصرى للشئون الخارجية ، وهو منظمة غير حكومية تعنى بالسياسة الخارجية ، وبمبادرة منه بإرسال خطاب إلى اللجنة النرويجية لجائزة نوبل للسلام يُرشح فيها شعب مصر وثورته فى ٢٥ يناير ٢٠١١ كثورة فريدة فى تاريخ مصر وتاريخ العالم للحصول على جائزة نوبل للسلام لهذا العام . كما بعث المجلس رسائل إلى الشخصيات المصرية والدولية والحائزة على جوائز نوبل وعمداء كليات العلوم السياسية ومعاهد السلام وأساتذة العلاقات الدولية والتاريخ والفلسفة للكتابة للجنة النرويجية لدعم الترشيح المصرى . وواصل ذلك بإرساله خطابات إلى قادة العالم لتأييد هذا الترشيح .

التجانس السكانى أو الوحدة الوطنية الذى يتمتع به المجتمع المصرى مما جعله يبدو متماسكاً خلال أحداث الثورة ويفوِّت الفرصة على أية محاولات للوقيعة والفتنة بين المسلمين والمسيحيين وهو لب القدرة الداخلية المصرية ، ، حيث ساعدت الدرجة العالية من التجانس الثقافى والاجتماعى فى نجاح الثورة المصرية ، فالمصريون يُشكلون وحدة وطنية أو تجمعاً سكانياً واحداً وينطقون لغة واحدة كما يدين ما يقرب من ٩٠٪ منهم بالإسلام . أما بالنسبة للأقباط أو النوبيين فيصعب تناولهم كأقلية ؛ نظراً لتداخلهم مع بقية أفراد المجتمع .

فعلى الرغم من أن شعوب دول إفريقيا جنوب الصحراء تُعانى من المشكلات التى عانى منها شعب مصر ، فإنه نظراً لافتقادها المقومات المحفزة لقيام الثورة واستمرارها مما يجعل هناك صعوبة فى انتقال نموذج الثورة المصرية إليها ، فهذه الدول تفتقر امتلاك تكنولوچيا المعلومات والاتصالات بل إن حكومات دول مثل جيبوتى ، أوغندا ، زيمبابوى ، غينيا الإستوائية سيطرت سيطرة كاملة على الإعلام الحكومى حتى لا ينقل أحداث الثورة المصرية وأصبح من يتابعها فى هذه الدول هو من يمتلك قنوات فضائية وهم ليسوا بكثير ، وفى أثيوبيا اعتُقل أحد الصحفيين عندما حاول أن يُقارن بين مصر وأثيوبيا فى إمكانية تطبيق النموذج المصرى فى الثورة . على عكس ذلك قد توافرت بعض هذه المقومات لعدد من الدول العربية التى تشهد ثورات تنادى بالحرية والديمقراطية ضد نظم قمعية ، متأثرة بنجاح الثورة المصرية والثورة التونسية من قبلها .

هذا فضلاً عما تُعانيه شعوب هذه الدول من تجاهل من قبل وسائل الإعلام الدولى لها ولما يجرى فيها من أحداث ، فقد يُعلق قادة العالم أو يُصدروا بيانات تعليقاً لما يجرى فى دول مثل مصر ، اليمن ، سورية ولا يُصدروا بيانات لما يجرى فى جيبوتى أو ساحل العاج مثلاً .

بالإضافة أيضاً إلى ما تُعانيه دول إفريقيا جنوب الصحراء من ضعف وجود منظمات المجتمع المدنى ، وهى تلعب دوراً مهماً فى مراحل التحول الديمقراطى . من ناحية أخرى ، فقد شهدت بعض دول إفريقيا جنوب الصحراء محاولات سابقة للديمقراطية ؛ إذ شهد بعضها تقدماً ديمقراطياً حثيثاً منذ التسعينيات من القرن الماضى حيث أصبح هناك ترابط بين ما يُطلق عليه المشروطية السياسية والمشروطية الاقتصادية . وقد قطعت الدول الإفريقية شوطاً كبيراً فى مجال تطبيق الإصلاحات السياسية ، وأبرز مجالات الإصلاح تمثلت فى الأخذ بالديمقراطية فى مفاهيمها وتطبيقاتها الليبرالية وما تضمنته من عملية إجراء الانتخابات بمستوياتها المختلفة (برلمانية ـ رئاسية ـ محلية) وتداول السلطة . واتجهت أغلب الدول الإفريقية منذ بداية القرن الواحد والعشرين إلى الأخذ بنظام ديمقراطى قائم على انتخابات تنافسية فى إطار تعددية سياسية ، وهذا ما عكسته وثيقة «النيباد» التى عززت التوجه الإفريقى العام نحو الديمقراطية وترجمته إلى التزامات محددة وقواعد واضحة للتنفيذ والتقييم والمراجعة ، وكذلك القانون التأسيسى للاتحاد الإفريقى الذى أكد فى ـ مبادئه وأهدافه ـ احترام الديمقراطية وتعزيز مشاركة الشعب فى أنشطة الاتحاد ، وغيرها من الوثائق والاتفاقيات الإفريقية ؛ حيث أصبحت الديمقراطية مطلباً شعبياً لا يُمكن تجاهله فى البيئة السياسية الإفريقية الراهنة متوافقة بذلك مع أجندة أولويات النظام الدولى تجاه القارة الإفريقية .

كما تُعانى دول إفريقيا جنوب الصحراء من انقسامات طائفية وعرقية تستغلها حكومات هذه الدول فى القضاء على أية احتجاجات حيث تتبع حكومات هذه الدول مبدأ «فرق تسد» divide and rule ، هذا إضافة إلى السيطرة الأمنية لهذه الحكومات وتصديها بعنف لأية محاولة للاحتجاج .

ويُشير ما سبق إلى ضعف احتمال انتقال نموذج الثورة المصرية إلى دول إفريقيا جنوب الصحراء حتى مع تشابهها مع مصر فى القضايا الرئيسية التى كانت من أسباب قيام الثورة كالفساد والفقر والبطالة والظلم والاستبداد وانعدام الحريات .

وبالنسبة للسؤال الثانى حول ما هو المطلوب من السياسة الخارجية المصرية بعد الثورة خاصة فى اطار محيطها الإفريقى ، فمن المعروف أن السياسة الخارجية المصرية قد واجهت على مدار السنوات الماضية عدداً كبيراً من الصعوبات والتحديات ، كما تم انتقاد طريقة تعاملها مع بعض القضايا خاصة فى ظل تراجع واضح للدور المصرى إقليمياً ودولياً ، وغيابها عن قضايا ومشاكل تمس المصالح المصرية . و انطلاقاً من أن الثورة كانت استعادة لكرامة المواطن المصرى وانتصاراً على الفساد و على نظام استبدادى قمعى أهمل كثيراً فى مصلحة الوطن ، فالتصور إن السياسة الخارجية لمصر الثورة ستعمل على استعادة المكانة الإقليمية والدولية لمصر والتى تتناسب مع تاريخها وموقعها ومواردها . لذلك فإن سياسة مصر الخارجية تستوجب المراجعة وإعادة النظر فى كافة جوانبها ، وأن تدور فى إطار الدوائر الثلاث المعروفة : العربية والإفريقية والإسلامية ـ وهى المجال الحيوى لمصر ـ وهذا لا يعنى إهمال الدوائر الأخرى ، وإنما تضعها فى الاعتبار فى أطر جديدة دون أن تحتل أولوية فى توجهات السياسة الخارجية على حساب الدوائر الأصيلة .

وتُمثل إفريقيا لمصر أهمية كبرى لارتباط الأمن المصرى بالأمن الإفريقى سواء من ناحية الانتماء الجغرافى أو من ناحية مياه النيل ، لذلك فإن كل ما

يحدث من قضايا فى إفريقيا يمس مصر بشكل مباشر ولا يمكن أن تبقى بمنأى عنه أو لا تهتم بالعلاقات المصرية الإفريقية وخاصة المناطق الحيوية مثل دول حوض النيل ومنطقة القرن الإفريقى على البحر الأحمر.

وقد كان لابتعاد مصر عن إفريقيا وإهمالها لهويتها الإفريقية تداعيات جسيمة مثل الوضع فى قضية حوض النيل و قيام ست دول بتوقيع الاتفاقية الإطارية فى غياب مصر والسودان ، وإعلان إثيوبيا بناء سد الألفية دون تشاور مع مصر مما قد يُهدد حصة مصر الحالية فى مياه النيل ويُمثل خطراً عليها .

كما اتضح ابتعاد مصر عن إفريقيا فى قضية أخرى حيوية ، وهى القضية السودانية وتسوية الصراع الدائر بين الشمال والجنوب ، فقد ابتعدت مصر تماماً عن مفاوضات هذه التسوية والتى تمت كلها برعاية كينية بل إنه بعد الإعلان عن اتفاق مشاكوس الإطارى بدا واضحاً عدم إلمام مصر بمجريات التفاوض أو إحاطتها علماً بها لا من الحكومة السودانية ولا من الوسطاء، وظهر ذلك من خلال تصريح وزير الخارجية المصرى الأسبق أحمد ماهر السيد الذى قال : إن مصر علمت بالاتفاق من وكالات الأنباء، وأعلن أن مصر تُؤيد وحدة السودان .

وبعد الاستفتاء الذى جرى فى يناير ٢٠١١ بعد انتهاء الفترة الانتقالية ، أصبحت مصر أمام كيان دولى جديد قد يُشكل خطراً على الأمن القومى المصرى من ناحية اتفاقية مياه النيل الموقعة عام ١٩٥٩ والحصص المتفق عليها حيث أن هذه الدولة الجديدة لم تكن طرفاً فى هذه الاتفاقية وغيرها من الاتفاقيات. هذا، على الرغم من أن السودان شماله وجنوبه يُشكل عمقاً إستراتيچياً لمصر جنوباً وأن تفككه أو عدم استقراره سوف يُؤدى إلى الإخلال بالتوازن الإستراتيچى فى الإقليم، سواء فى القرن الإفريقى أو البحر الأحمر، مما قد يُؤثر سلباً على أمن مصر ودورها ومكانتها .

وبعد ثورة ٢٥ يناير ، وعلى الرغم من كون السياسة الخارجية المصرية تمر بمرحلة انتقالية تُواجهها فيها تحديات سواء داخلية أو خارجية ، فإنه قد ظهر جلياً أن وزير الخارجية ـ على الرغم من تعدد وزراء الخارجية فى الفترة الأخيرة ـ يعمل جاهداً على إعادة وضع الدائرة الإفريقية كأولوية للسياسة الخارجية المصرية ، بل كانت إفريقيا هى الوجهة الخارجية الأولى لرئيس الوزراء السابق الدكتور عصام شرف بعد توليه رئاسة الوزارة ، حيث قام بجولة إفريقية شملت دول أوغندا وأثيوبيا والسودان ، كما كان للدبلوماسية الشعبية دور فى تعزيز العلاقات المصرية الإفريقية حيث دعمت الثورة آلية مهمة سيكون لها آثارها فى تفعيل التفاهم والتعاون ، وهى الدبلوماسية الشعبية القائمة على مشاركة منظمات المجتمع المدنى والأحزاب وكذلك القوى الشبابية . وقد بدأت وفود هذه الدبلوماسية الشعبية فى تحقيق نتائج طيبة مع الدول الإفريقية، حيث قام وفد غير رسمى بجولة فى دول حوض النيل فى الفترة من ٢٨ أبريل إلى ١٠ مايو ٢٠١١ شملت أوغندا والسودان ، حيث أجرى عدة لقاءات مع قادة السودان شماله وجنوبه؛ تناولت سبل دعم التعاون ووضع خطة حول التكامل الاقتصادى من خلال مشروعات استثمارية مشتركة ، وكذلك زار الوفد الشعبى إثيوبيا حيث عقد لقاءات مع كل القيادات السياسية بما فيها رئيس الجمهورية ، ورئيس الوزراء وعدد من الوزراء الإثيوبيين ، وكان الإجماع من جانب المسئولين الأثيوبين إن إثيوبيا لن تضر بمصر وأن سد الألفية الجديدة ليس سداً للمياه وإنما للكهرباء، وكان من أبرز نتائج هذه الزيارة وعد رئيس وزراء إثيوبيا تكوين فريق من الخبراء المصريين

والإثيوبيين وخبراء مستقلين لدراسة سد الألفية وتأثيره على مصر .

ويدل ذلك على عودة الاهتمام بالعلاقات المصرية الإفريقية ، وهو الاهتمام الذى يجب استثماره على أكثر من ناحية ، كتعزيز الوجود المصرى فى دول حوض النيل من خلال مشروعات تنموية واقتصادية تُحقق مصالح الطرفين ، وتعزيز العلاقات مع بقية الدول الإفريقية من خلال الاتفاقيات التجارية والاقتصادية والعلمية والثقافية سواء من خلال الصندوق المصرى للتعاون الفنى مع إفريقيا أو المنظمات الإفريقية وعلى رأسها الاتحاد الأفريقى ، والتجمعات الاقتصادية الإقليمية وكذا أن يكون لمصر دور فعال فى معالجة مشاكل القارة وحل الصراعات وحفظ السلام ورفض التدخل الأجنبى فى مشاكل القارة .

وفى مؤتمر الحوار الوطنى الذى عُقد فى الفترة من ٢٢ إلى ٢٤ مايو ٢٠١١ تحت رعاية رئيس الوزراء السابق الدكتور عصام شرف تناول خمسة محاور : الديمقراطية وحقوق الإنسان ، التنمية البشرية والاجتماعية ، التوجهات الاقتصادية فى المستقبل ، الثقافة والإعلام ، وأخيراً مصر ما بعد ثورة ٢٥ يناير وعلاقتها بدول العالم العربى والدول الإسلامية وإفريقيا والاتحاد الأوربى والولايات المتحدة الأمريكية ، وأصدر توصياته فيما يتعلق بالسياسة الخارجية المصرية وعلاقات مصر بالعالم الخارجى ، وبالنسبة لإفريقيا أكد على ما يلى :

ـ اتخاذ كافة الإجراءات والاحتياطات اللازمة لتأمين منابع النيل و ضمان استمرار سريانه إلى الأراضى المصرية من خلال الانضمام للاتفاقية الإطارية وإمكانية تعديل بعض البنود التى تُحافظ على حقوق مصر فى مياه النيل وتدعيم العلاقات مع دول حوض النيل عن طريق إنشاء منظمة مماثلة للصندوق الاجتماعى المصرى للتنمية CFD و برنامج تنمية المجتمع CDP على عدة مستويات دولية مكونة من دول حوض النيل ويُمكن إطلاق هذه المبادرة عن طريق مصر والسودان (شمالاً وجنوباً) وإثيوبيا كدول مؤسسة وتكون مهمة هذه المنظمة هى مناقشة سبل ووسائل تنمية حوض النيل ، وتمويل مثل هذه المنظمة يُمكن أن يأتى من العديد من الممولين مثل البنك الأسيوى للتنمية ، البنك الدولى ، الاتحاد الأوربى ، المساعدات الأمريكية واليابان وغيرهم .

ـ إنشاء فروع لجامعة القاهرة فى عدد من العواصم الإفريقية ، وتنشيط مؤسسات التبادل التعليمى والثقافى .

ـ العمل على استمرار الدور المصرى الدائم لتدريب الكوادر الإفريقية خاصة ما يقوم به الصندوق المصرى للتعاون الفنى مع إفريقيا بإرسال الخبراء المصريين إلى عدد كبير من الدول الإفريقية فضلاً عن تدريب المئات من الأفارقة سنوياً فى المعاهد المصرية ، وفى بعض الأحيان فى إطار تعاون ثلاثى مع دول أخرى مثل اليابان أو منظمات الأمم المتحدة .

ـ تعزيز وتعميق العلاقات مع دولتىّ السودان شماله وجنوبه لما يُشكله من عمق إستراتيچى لمصر جنوباً ، ويحتاج الأمر بالتالى إلى : البدء بإحياء منظومة التكامل السياسى والاقتصادى والثقافى ، والدخول فى مشروعات مشتركة ، يُمكن أن تضم أطرافاً ثالثة تُساعد بالمال أو الخبرة الفنية خاصة فى مجال الزراعة ، ومشروعات البنية الأساسية وتوليد الكهرباء وغيرها . ومن المهم أيضاً الحفاظ على جبهة مصرية ـ سودانية موحدة فى التعامل مع ملف نهر النيل ، وفى نفس الوقت الدخول فى مشروعات مشتركة تستهدف تحقيق الاستفادة المثلى لمياه النهر .

ـ ضرورة أن تعود القضية الصومالية على أجندة العمل المصرية حيث أن أهمية الصومال لمصر أهمية قصوى إذ تبقى مسألة وحدة الصومال كعامل استقرار وتوازن فى منطقة شرق إفريقيا محدداً رئيسياً للتعامل المصرى مع المسألة الصومالية بكل أبعادها. فالصومال أحد المحاور الرئيسية التى تنطلق منها السياسة الخارجية المصرية، سواء فى توجهها نحو منطقة القرن الإفريقى أو نحو تأمين العمق الجنوبى لمصر ككل. ولمصر مصالح إستراتيجية مهمة فى هذه المنطقة تتمثل فى أمن البحر الأحمر وما يرتبط به من تأمين طرق الملاحة الدولية المتجهة إلى قناة السويس، بالإضافة إلى تأمين مياه النيل من منابعه الرئيسية فى تلك المنطقة التى هددتها الأزمة الصومالية باحتمالات سريان عدوى انهيار الدولة إلى بقية دولها، كل هذه العوامل تفرض على مصر التدخل بقوة من أجل استقرار الصومال واستقرار المنطقة بأكملها.

ـ أهميه التنسيق بين أجهزه الدولة المختلفة التى تعمل فى المجال الخارجى سواء بالنسبة للأجهزة الحكومية أو القطاع الخاص على اعتبار أن الكل يجب أن يهدف إلى تحقيق المصلحة المصرية وليس مصلحه لقطاع أو جهاز بعينه.

ـ إحياء مشروع السكك الحديدية «القاهرة ـ كيب تاون» حيث أنه يُمثل أمراً حيوياً لمستقبل مصر التجارى والأمنى والسياسى وحبذا لو وُجد طريق برى مماثل يربط بين المدينتين.

ـ تقديم الدعم الفنى وبحث أفضل سبل الدعم المادى لمشروع الربط البرى بين داكار و بورسودان للسكك الحديدية الذى يربط بين شرق إفريقيا وغربها لما له من أهميه اقتصادية وسياسية وإستراتيجية كبيرة ستعود على مصر.

ـ زيادة وتعديل حجم التبادل التجارى فى إفريقيا وتحسين الميزان التجارى كماً ونوعاً والاندماج بقوة فى التكتلات الاقتصادية الإفريقية.

ـ زيادة مشروعات التعاون المشترك المبنية على تحقيق منافع وأهداف مشتركة.

ـ تدعيم وتشجيع مراكز الأبحاث على القيام بأبحاث مشتركة مع إفريقيا فى المجالات ذات الاهتمام المشترك.

ـ تنشيط الوساطات المصرية فى الصراعات الإفريقية، والمساهمة بإنشاء محكمة العدل الإفريقية كأول آلية لفض النزاعات الإفريقية.

ـ الانضمام إلى تجمعات قائمة أو استحداث تجمعات جديدة أو كلاهما معاً فى اطار من اتساق التعاون بين التجمعات القائمة والمستحدثة.

يُضاف إلى ذلك أنه فى ظل الانتخابات البرلمانية والرئاسية، والتى ستُقرر مستقبل مصر السياسى لعقود قادمة، من الطبيعى أن يُركز المرشحون وخاصة للرئاسة، بل والناخبون، على قضايا السياسة الداخلية: الاقتصاد، التشغيل، الأجور، التعليم، الصحة..... إلخ، هذه القضايا الحيوية التى تمس الحياة اليومية للإنسان المصرى، خاصة مع التدهور الذى شهدته هذه القضايا فى الفترة الماضية، غير أن الاهتمام المشروع بهذه القضايا لا ينفى أهمية الاهتمام بقضايا السياسة الخارجية فى ظل العلاقة الوثيقة بين قضايا السياسة الداخلية والخارجية، لهذه الاعتبارات فإنه من المتوقع من مرشحى الرئاسة بوجه خاص أن يعلنوا عن سياساتهم تجاه قضايا السياسة الخارجية المصرية الدولية والإقليمية خاصة قضايا مياه النيل وكيف نبنى علاقات إيجابية وتعاونية مع دوله، وكيف تشيد وتستعيد مصر مكانتها فى نطاقها الإفريقى.

لقد بدأت ثورة الخامس والعشرين من يناير عهداً جديداً لمصر يجب أن يكون مختلفاً ومتميزاً عما سبقه ويُصلح ما أفسده النظام السابق وإهماله لمصالح مصر الإستراتيجية والحيوية ، لذلك يجب أن تعمل السياسة الخارجية المصرية على إعادة مكانة مصر الإقليمية والدولية لتتماشى مع مكانتها التاريخية ومقوماتها الذاتية المادية والمعنوية بحيث تُحقق أهداف الثورة وتطلعات الشعب المصرى نحو استعادة قوة مصر إقليمياً ودولياً . وإذا كانت الدول الإفريقية جنوب الصحراء تفتقد المقومات اللازمة لتحقيق ثورة على غرار الثورة المصرية ، فإنه يجب على السياسة الخارجة المصرية أن تعمل على تعزيز علاقاتها مع هذه الدول والوصول إلى شراكة تخدم مصالح الطرفين وتُحقق لمصر من جديد مكانتها فى القارة الإفريقية خاصة وأن الثورة المصرية قد أكسبت مصر احتراماً دولياً واسعاً ، مما سيُعطيها القدرة على التحرك فى القضايا الإقليمية الإفريقية .

فسياسة مميزة لمصر فى إفريقيا مطلوبة باعتبار انتماء مصر لإفريقيا ، و من أجل الحفاظ على مصالحها فى القارة وتنميتها ، ثم بغرض تعظيم مصادر القوة المصرية فى النظام الدولى ، وهو ما من شأنه أن يُمكن مصر من تحقيق أهداف سياستها الخارجية . هذه المقاصد كلها يُمكن تحقيقها استناداً إلى أسس تاريخية وثقافية للتحرك المصرى المأمول ، فضلاً عن سياسات طبقتها فى إفريقيا فى عقود ماضية . التحرك المصرى فى إفريقيا يتطلب استثماراً وإنفاقاً للموارد ، وعلى أى حال ، فالاستثمار والإنفاق أداتان لا غنى عنهما لأى بلد طموح يُريد أن يلعب دوراً فى محيطه الإقليمى وفى العالم .

أرمينيــة ولبنــان

فى الأول من نوفمبر ٢٠١١ ، التقى أشود كوتشاريان سفير جمهورية أرمينية فى لبنان مع عدنان منصور وزير الخارجية اللبنانية . وخلال اللقاء ، بحث الطرفان حالة العلاقات الثنائية الراهنة ورؤى تطويرها . هذا ، وقد أكد الجانبان على أهمية تبادل الزيارات بين الوفود رفيعة المستوى وتعميق التعاون المتبادل لدى المنظمات الدولية وتنشيط العلاقات الاقتصادية والتجارية . وفى هذا الصدد ، أعرب الطرفان عن قناعتهما بأن زيارات الوفود رفيعة المستوى من شأنها تنمية علاقات الصداقة الحارة بين البلدين . وقد تم تقدير زيارة نبيه برى رئيس البرلمان اللبنانى إلى أرمينية مؤخراً نظراً للنتائج التى أسفرت عنها . وعطفاً على ما سبق ، أكد الوزير عدنان منصور على أهمية دور الطائفة الأرمنية فى لبنان على كافة المستويات . وفى ٢ نوفمبر ، التقى كوتشاريان مع فريج صابونچيان وزير الصناعة اللبنانية . وأثناء اللقاء ، بحث الطرفان سُبل تطوير العلاقات الثنائية فى مجالىّ التجارة والاقتصاد . وأكدّ الجانبان على ضرورة تنظيم زيارات متبادلة بين دوائر الأعمال وعقد مؤتمرات لرجال الأعمال والتعاون بين الغرف التجارية فى الدولتين . واستعرض كوتشاريان الإنجازات الاقتصادية لأرمينية وإمكانيات الاستثمار بها .

الأرمن فى كتابات رحالة أوربيين إلى العراق

إعداد : على عفيفى

اجتذب الشرق على مدى قرون الكثير من الرحالة الغربيين من سياح وتجار وجغرافيين وأدباء وشعراء ورسامين وجواسيس ومبعوثين سياسين ، هاموا بالشرق وعشقوا حياته الرومانسية المفعمة بشاعرية القرون الوسطى، وعبق التاريخ ، وعذرية صحرائه المثيرة المليئة بالأسرار .ترك معظم هؤلاء لنا نصوصاً أدبية صارت رافداً مهماً للكتابة التاريخية، بما قدموه من وصف للمناطق التى زاروها ، فالرحالة ، على حد قول المؤرخ الجليل الدكتور جمال حجر يُقدم صورة اللحظة التاريخية التى عاشها باعتبارها لحظة معاصرة رآها بأم عينيه .

البداية كانت النزعة الرومانتيكية التى دفعت العديد منهم إلى الترحال بحثاً عن زاد جديد للخيال . وفى رؤوس بعضهم ، خاصة ذوى الأحلام الطوباوية ، كانت القدس أحد الأهداف الرئيسية ، تأتى بعدها القاهرة . فقد كان كتاب «وصف مصر» الذى قدمه علماء الحملة الفرنسية عن مصر مسئولاً عن الاستطلاع نحو الشرق لدى المواطن الغربى (الأوربى) فى الوقت الذى كان فيه الرحيل لاستكشاف دهاليز الشرق واستجلاء طلاسمه وسحره ، مغامرة صعبة محفوفة بالمخاطر والصعاب . وفى القرن التاسع عشر كان الشرق بمثابة «الحلم» بالنسبة لمجتمع الصفوة الأوربية . كان الحنين للخيال أحياناً ، أو للحرية أحياناً أخرى ، كان الشرق يعنى للبعض ليس فقط موطن العواطف الجيّاشة أيضاً . فقد تعدى الانجذاب إلى الشرق ، مع بداية هذا القرن ، مرحلة الدهشة والانبهار بالأشياء الغربية ، والحلم الرومانسى الذى أسهم فى تدعيم أسطورة الشرق ، وانطلقت الرغبة فى معرفة أدق عن الآخرين ، ترقب وترصد .

وكما أن هناك مكتشفين أوائل لأى أرض جديدة ، كان هناك رواد كشفوا عن الشرق الفنان ، المتوهج ، الغامض ، الساحر ، والسخى فى الوقت نفسه ، فشدوا إليه الرحال من مختلف أصقاع الأرض سائحين وزائرين ، وأثمرت رحلات هؤلاء الرواد ، أو بمعنى آخر مغامراتهم إلى الشرق نصوصاً أدبية ألهبت مخيلة القراء ، وأنبتت داخلهم رغبة لا تُقاوم فى رؤية الجديد على أرض ذلك الشرق الذى لم يكن وقتها قد باح بكثير من مكنوناته .

وهدفنا هنا هو رصد الوجود الأرمنى فى مجموعة من كتابات الرحالة الأوربيين فى العراق ، من خلال كتاب بنفس العنوان نشرته دار الوراق للنشر المحدودة بلندن عام ٢٠٠٧ ، يتضمن مجموعة ترجمات للأجزاء التى تخص العراق من رحلات فئة من الرحالة ،

باحث دكتوراة
فى التاريخ الحديث والمعاصر

مختلفى الجنسيات ، والتوجهات ، والمدارس الفكرية ، عكف على ترجمتها مجموعة من المترجمين .

الإيطالى فيدريجى

أول رحالة ذكر الأرمن هو تاجر إيطالى من أهل البندقية ، قدم إلى العراق فى طريقه الى الهند والشرق الأقصى ، بحثاً عن الأحجار الكريمة ، والجواهر سعياً لاقتناء النفيس منها ورحلته من أقدم الرحلات إلى الشرق ، شرع بالسفر سنة ١٥٦٣ فى رحلة امتدت به أكثر من ١٨سنة ما بين عامىّ (١٥٦٣ ـ ١٥٨١) عاد منها إلى وطنه يحمل بضاعة ثمينة .

غادر البندقية عام ١٥٦٣ إلى قبرص ، ومنها إلى طرابلس ، ودخل العراق عن طريق بيرة چك ، وانحدر فى الفرات حتى الفلوجة ، ثم واصل الطريق البرى إلى بغداد ومنها إلى البصرة عبر نهر دجلة ، ثم اتجه الى الهند. ومنها إلى بورما (ويُسميها برمانيا) وماليزيا .

وفى سنة ١٥٦٩ قرر العودة إلى وطنه بعدما حقق أرباحاً طائلة ، فرجع إلى «غوا» فى الهند على أمل الإبحار منها إلى البصرة ، لكنه لم يُبحر لسببين : مرض خطير ألم به أجبره على ملازمة الفراش أربعة أشهر ، ثم حصار المدينة الذى حال دون مغادرتها ، فخسر مالاً كثيراً من جراء المرض ، وغلاء المؤن فى أثناء الحصار ، فقرر العودة إلى التجارة فى الشرق ، ولما حصل على مال وفير قررالعودة إلى إيطاليا فرحل إلى هرمز ، ثم البصرة ، ومنها إلى بغداد ، فحلب ، وبعد زيارة قصيرة للأراضى المقدسة فى فلسطين ، أكمل الرحلة إلى وطنه فوصل البندقية فى ٥ نوفمبر١٥٨١. أما سنة وفاته فغير معروفة ، لكنها تقع بين١٦٠٠ و ١٦٠٢ ففى سنة ١٦٠٠ حرر وصيته ، وفى سنة ١٦٠٢ حرر كاتب العدل تركته ، فقد وافاه الأجل بين هذين التاريخين.

ونجده يذكر الأرمن منذ أن وطأ بقدميه على تراب حلب ، فيذهب إلى أن من يرغب فى السفر البرى منها إلى الخليج العربى ، عليه أن يُصاحب التجار الأرمن ، الذين يُمارسون التجارة بين المركزين منذ قديم الزمان ، وعلى دراية كبيرة بالطريق ، وعلى علاقات صداقة طيبة مع البدو على طول طريق القافلة ما بين بغداد وحلب ، فنجده يقول : «فى سنة ١٥٦٣ مسيحية ، إذ كنتُ أنا تشيزارى دى فيدريجى بالبندقية ، وقد عصف بى الشوق لزيارة الشرق ، ركبتُ البحر مع بضائع مختلفة على متن السفينة «كرادينجا» المتوجهة إلى قبرص ، بقيادة «جاكامو فاتيكا» ، وعندما وصلت إلى قبرص ، توجهتُ إلى طرابلس الشام بسفينة أصغر ، ولم أتوقف هناك ، بل تابعتُ السفر إلى حلب ضمن قافلة من الجمال فوصلتها بعد مسيرة ستة أيام . وفى حلب يتم الاتفاق مع التجار الأرمن والمسلمين للذهاب سوياً إلى هرمز ، وهكذا بارحتُ فى ركابهم فوصلنا بعد يومين ونصف إلى بيرة چك .

وعندما وصل إلى بغداد نراه يقدم لها وصفاً جغرافياً ، ووصفاً بشرياً لسكانها ، وينتقل إلى الحديث عن الأنشطة التجارية فيها ، فيجد أنها مدينة تؤمها البضائع من كل الاتجاهات والأقطار بواسطة النهر المجاور لها ، ويجد أن للأرمن نشاطاً واضحاً ، وللبضائع الأرمنية رواجاً كبيراً فيها ، فيقول : «أما بغداد فهى مدينة غير كبيرة ، لكنها عامرة بالسكان ، يكثر فيها الغرباء من التجار ، لأنها نقطة انطلاق إلى فارس وتركيا وبلاد العرب ، فإن القوافل القادمة إليها والراحلة منها إلى مختلف الجهات تكثر فيها . والمدينة مليئة بالبضائع والمؤمن التى تأتيها من أرمينية بواسطة النهر ، الذى يُحيط بأسوارها . وتُنقل هذه المواد إلى بغداد محملة على متن أكلاك عائمة فوق قرب منفوخة ومربوطة إلى بعضها ، ويطرحون فوق القرب ألواحاً يضعون الأحمال عليها ، وهكذا تُرسل إلى بغداد ،

وعند وصولها تُنزّل الأحمال ، وتُفرغ الزقاق من الهواء، وتُحمّل على جمال ، وتُرسل إلى مصدرها لتُستعمل من جديد فى سفرات أخرى» .

الأب فيليب الكرملى

ثانى رحالة نجد للأرمن لديه ذكراً هو الأب فيليب الكرملى ، وهو راهب كرملى ، ولد قرب أفينيون بفرنسا عام ١٦٠٣ ، وكان اسمه «اسبرى جوليان Esprit Julien ودخل دير الكرمليين فى ليون سنة ١٦٢١ ، وهناك أبدل اسمه على عادة الرهبان ، فاتخذ اسم فيليب دى لا ترينتى Philippe de la Trinite، وقد كلّفه رؤساؤه بالعمل فى ديرهم فى بلاد فارس ، فغادر بلاده ورحل إلى الشرق ، وقدم إلى العراق عام ١٦٢٩ ، عن طريق حلب ، ثم عانة فبغداد ، ومنها إلى بلاد فارس ، وفى السنة التالية عاد إلى العراق فنزل فى البصرة ، ثم أبحر إلى الهند ، وبعد عشر سنوات رجع إلى أوربا . وهناك تسلم مختلف المسئوليات الكنسية ، حتى أصبح رئيس الرهبنة الكرملية منذ عام ١٦٦٥ ، وتوفى فى نابولى فى ٢٥ فبراير ١٦٧١ .

وكما رافق فيدريجى فى رحلته من حلب إلى بغداد تجار أرمن ، رافق الأب فيليب الكرملى تجار أرمن أيضاً، فى دليل واضح على نشاط الأرمن فى التبادل التجارى بين عالم الخليج العربى وما ورائه من عالم المحيط الهندى وجنوب شرق آسيا والمحيط الهادى ، وعالم البحر المتوسط وما ورائه من أوربا ، وهؤلاء الأرمن المرافقون له عندما وصلوا إلى بغداد لم يملكوا إلا التعبير عن فرحتهم بإطلاق الأعيرة النارية تحية لها ، وهى تحمل فى ثناياها تقدير ولاة بغداد إلى الدور الذى كان يقوم به الأرمن ، فنراه يقول : «فى الأيام الثلاثة السابقة لوصولنا إلى بغداد ، ابتعدنا عن الفرات وأخذنا نقترب من دجلة ، فنرى الأراضى الخضراء وغابات النخيل . وفى اليوم السادس من يولية (١٦٢٩) ظهرت لنا مدينة بغداد الشهيرة ، فلم يتمالك بعض الرجال الأرمن أنفسهم فعبروا عن فرحهم بإطلاق العيارات النارية تحية لبغداد ، وحمداً لله على السلامة» .

وانطلق الأب فيليب الكرملى من بغداد فى رحلته إلى البصرة عبر نهر دجلة منحدراً ناحية الجنوب ، فوصل مدينة بابل ، فلاحظ وجود عدد من الطوائف المسيحية بها ، لكل منهم بطريرك خاص ، ويُمارسون عباداتهم فى حرية تامة ، وأمن ظاهر ، فيقول : «سكان بابل هم كلدانيون يتكلمون اللغة العربية ، ومعظمهم مسلمون ، ولكن هناك أعداداً من المسيحيين من أرمن ويعاقبة ونساطرة ، والنساطرة هم أكثر عدداً وأهم مكانة من الآخرين ، وقد أظهروا لطفاً معنا واستعداداً للتقرب منا ويسكنون فى قرى بابل ، ولهم بطريركهم ، وهو راهب من أتباع القديس باسيليوس ، ويسكن فى دير شهير فيما بين النهرين» .

وواصل الأب فيليب الكرملى رحلته من بغداد إلى البصرة ، ولكنه لما وصل إليها لاحظ نشاطاً وهمة غير طبيعيتين للأرمن كذلك بها ، ولعل تمييزه لهم باللغة والملبس لدليل على مدى اعتزاز هؤلاء بلغتهم الوطنية وتراثهم الشعبى ، وتمسكهم رغم إقامتهم الكاملة فى البصرة ومعايشتهم للعرب معايشة كاملة بعاداتهم وتقاليدهم ، وفيه إشارة أخرى إلى تمتعهم بحرية وبدور كبير فى الحياة العامة بالمدينة ، فيقول : «معظم سكان البصرة عرب ويتكلمون العربية ، وفيها أتراك خاصة من العسكريين ، ويفدها الفرس بأعداد كثيرة للتجارة ، ويُطلقون على الفارسى اسم «عجمى» لذلك نرى اللغتين التركية والفارسية منتشرتين فى المدينة . ولقد نمت هذه المدينة وتوسعت منذ سنوات قليلة على أثر سقوط بغداد وهرمز ، لأن أعداداً كبيرة من الناس من العامة والتجار قدموا إليها . فيها من النصارى طوائف عدة : الأرمن والنساطرة واليعاقبة، وهناك

جماعة يُطلق علهيا اسم نصارى القديس يوحنا ، وهم ليسوا بنصارى ، إذ يُسمون أنفسهم مندائيين ، ويعرفهم الآخرون بالصابئة» .

روبرت تيلور

الرحالة الثالث الذى ورد للأرمن ذكر فى رحلته ، هو المستر روبرت تيلور Rubert Taylor القنصل البريطانى فى بغداد (١٨٢١ ـ ١٨٤٢) ، بدأ نشاطه فى العراق كوكيل بريطانى فى البصرة للمستر ريتش المقيم السياسى البريطانى فى بغداد ، ثم خلفه على إثر خلافات وصراع بينه وبين داود باشا والى بغداد (١٨١٧ ـ ١٨٣١) ، وانتظمت علاقاته بالوالى ، وتحسنت بينهما حيث تفاهما على استخدام نهر الفرات كطريق لربط الشرق بالغرب بالبواخر . الأمر الذى دفع الأخير إلى التفكير فى شق قناة تربط بين نهرىّ دجلة والفرات لخدمة المشروع البريطانى الهادف إلى استخدام العراق كطريق للملاحة البخارية التجارية يربط الشرق بالغرب.

قام تيلور بالعديد من الرحلات فى أرجاء العراق بهدف التبشير ، وبهدف جمع الآثار ، فقد قامت منافسة بينه وبين فونتانييه القنصل الفرنسى لأجل بسط الحماية على الصابئة، ولكنها على أية حال كانت منافسة مؤقتة ، إذ نجح الإنجليز فى استصدار فرمان بحمايتهم ، وازدادت علاقة الصابئة بالإنجليز بمرور الوقت ، كما كان أول من لفت الأنظار إلى أهمية آثار العراق ، وقام بجمع ما تيسر له منها . وخلفه هنرى رولنسون عام ١٨٤٢ .

ونراه فى رحلته يُشير إلى أن الوجود الأرمنى فى البصرة ، وجود مميز ، لأنه لاحظ أن تجارتها تكاد تكون محصورة بيد هؤلاء الأرمن ، الذين يُمارسون أنشطة تجارية واسعة مع أماكن واسعة من العالم ، فيعملون على جلب البضائع إلى البصرة ، ثم إعادة توزيعها ، ولهذا قصدها الأرمن ، وغيرهم ، من شتى بقاع الدنيا للتعاطى فى التجارة المتنوعة فيقول إن الخليفة عمر بن الخطاب رضى الله عنه قد وفق فى اختيار موقعها «إذ هناك تجتمع القوافل القادمة من بلاد الفرس والعرب . وهى تُحافظ على السفن التى تُبحر إلى البلاد القريبة فتكون نقطة اتصال بين هذه البلاد وساحل الهند . ولذلك قدم إليها أناس من كل فج عميق : يونانيون ويهود وأرمن وهنود ومغاربة فحلوا فيها» .

ونراه يذهب إلى أن ممارسة هؤلاء الأرمن للتجارة فى البصرة ، هى السبب الرئيسى فى ازدهار التجارة بها ، فهم يقومون بنقل البضائع من الهند إليها ، ثم يقومون كذلك بمهمة نقلها عن طريق الملاحة النهرية إلى أرمينية والدولة العثمانية وأوربا ، وإلى أقصى البلاد فى فارس وآسيا الصغرى ، وهذا التبادل التجارى الواسع أعطاهم شهرة كبيرة ، وكذلك مكنهم من تكوين ثروات طائلة ، بالرغم مما تفرضه عليهم السلطات العثمانية من ضرائب كثيرة ، فنراه يقول : «ازدهرت التجارة فى البصرة كثيراً على أيام الخلفاء . فقد أصبحت مستودع البضائع التى كانت تأتى إليها من الهند عن طريق الخليج ، ثم تنتقل منها بواسطة الجمال إلى البحر الأبيض المتوسط ، أو إلى بلاد العرب ، وإلى أقصى المناطق فى إيران . ثم كان اكتشاف رأس الرجاء الصالح بمثابة ضربة قاصمة على تجارة البصرة خاصة فى علاقاتها التجارية مع أوربا . ومن الأسباب التى أدت إلى انحطاط تجارتها معاملة الأتراك الشرسة وجهلهم طرق تعاطى الأمور التجارية . كل ذلك أدى إلى إضعاف العلاقات مع آسيا . وتكاد التجارة تكون محصورة فى البصرة فى أياد الأرمن الذين يخضعون إلى ضرائب عالية» .

چون آشر

أما الرحالة الرابع فهو المستر چون آشر عضو الجمعية

الجغرافية الملكية بلندن ، الذى قام فى صيف ١٨٦٤ ، برحلة طويلة إلى موقع الآثار الإيرانية المعروف باسم برسبوليس ، القريب من شيراز . وقد بدأ بالتجوال فى أوربا حتى وصل إلى بلغراد فى يوغسلافيا ، ثم عبر منها مجتازاً البلاد البلقانية إلى سواحل البحر الأسود حيث زار أوديسا وسفاستابول ، وانتقل منها إلى بلاد القرم ، وبلاد الكرج ، فى قفقاسية . وهناك زار منطقة الداغستان التى كانت قد أعلنت الثورة على القيصر الروسى بقيادة البطل القفقاسى المسلم شامل باشا أو الشيخ شامل ، واستمر فى ثورته عدة سنين كان يتحدى فيها جور القياصرة الروس للمحافظة على استقلال المسلمين فى تلك الأصقاع الجبلية ، وقد زار البطل المسلم هذا وإخوته وسائر أعوانه . وبذلك تسنى للمستر آشر أن يصف الكثير من أحوال تلك البلاد ، وعادات أقوامها وطباعهم ، وهو يقول إنه وجد فى تلك الجهات عدداً من القرى التى يسكنها أناس من عبدة النار ، فزار معبدهم الذى يُسميه «أش أجا» .

وقد عبر المستر آشر من تلك الجهات إلى بلاد الأناضول عن طريق قارص وأرمينية ، ولهذا نجده يعمد فى رحلته إلى وصف الكثير من أحوال الأرمن وبلادهم فى تلك الأيام ، ويعمد بالإضافة إلى ذلك وصف الكثير من أحوال المناطق الكردية فى تلك الجهات وآثارها أيضاً ، وهو يُشير فيما يذكره عن هذه البلاد إلى أعمال المبشرين الأمريكان الذين كانوا قد نشطوا فى العمل منذ تلك الأيام ، واستطاعوا أن يُؤسسوا مركزاً من أهم المراكز التبشيرية فى ديار بكر وأورميا . على أنه يُشير بصورة خاصة إلى الصعوبات التى كان يُلاقيها أولئك المبشرون ، والمقاومة التى كان يُبديها رجال الدين الأرمن تجاههم ووضع العراقيل فى طريقهم أينما يذهبون .

وبعد أن زار بيتليس وسغرت وغيرهما توجه إلى ديار بكر التى يقول إنها تبعد عن سغرت بمسيرة أربعة أيام مع القافلة ، وقد دفع سبعين قرشاً عن الشخص الواحد فى هذه السفرة ، وحينما وصل إلى ديار بكر أنزله الباشا فى بيت الخوجة بدول ، وهو تاجر أرمنى كان يفخر باستضافة السياح الأوربيين فى بيته الفسيح .

وعندما انتقل چون آشر إلى مدينة زاخو ، وجد نسبة الأرمن بها مرتفعة ، ووجد أنهم أصحاب حوانيت ، فبعد أن يُشير إلى ضيق أسواقها وأزقتها المتعرجة ؛ يذكر أن معظم ما كان يُباع فى الأسواق من بضائع وسلع أجنبية كان من أقمشة «مانشستر» القطنية ، وأن سكان البلدة خليط من الأكراد والكلدان والأرمن ، وأن الأرمن هم أصحاب الدكاكين فى الغالب .

وانتقل چون آشر إلى الموصل ليُبرهن على مدى ما تمتع به الأرمن فى العراق من حرية فى ممارسة شعائرهم الدينية بما شاهده من كنائس حيث شاهد عدداً من كنائس الكلدان والأرمن . ووجد أن الأرمن فى الموصل تجار وأصحاب محال تجارية بفضل ما تميزوا به من قابلية ومقدرة فى الشئون التجارية ، فيعود إلى ذكر أصحاب الدكاكين فى الأسواق قائلاً : «إنهم مسيحيون فى الغالب ، ومعظمهم من الأرمن الذين يبدو أن قابليتهم ومقدرتهم فى شئون التجارة قد جعلتهم ينتشرون فى الشرق بحيث تجدهم موجودين حتى فى أبعد القرى ، وأوعر المسالك ، فيُتاجرون فى أغلب ما وُجد من السلع فى الأسواق : الأصباغ والأقمشة القطنية بجانب الأطعمة والمأكولات التى يحتاجها سكان المدن» .

وكان چون آشر دقيق الملاحظة ، عميق الثقافة ، واسع الأفق ، وجاءت زيارته للعراق فى عهد فاصل من فصول تاريخها ، فبعد سنتين من زيارته ، أى فى

سنة ١٨٦٩ ، تولى منصب ولاية بغداد المصلح مدحت باشا ، والى بغداد (١٨٦٩ ـ ١٨٧٢) الذى نفض عن البلد غبار الخمول ، وأنجز مشروعات إصلاحية خلّدت اسمه ، وميزته بين الولاة الذين نهضوا بأعباء الحكم فى وادى الرافدين فى العهد العثمانى . وفى عام ١٨٦٩ نفسها افتتحت قناة السويس التى قرّبت المسافات الشاسعة ووثقت العلاقات التجارية بين العراق والأقطار الأوربية .

تنكو أنيهولت

ومن الرحالة الذين زاروا العراق فى أواسط القرن التاسع عشر ، وسعوا إلى الإطلاع على أحواله وتدوين شئونه الهولندى تنكو مارتينوس ليكلاما أنيهولت Tinco Martinus Lycklama Anijeholt المولود فى بلدة بيتسبروغ فى ٩ يولية ١٨٣٧ ، ودرس فى هولندا وسويسرا . وعشق السفر شاباً ، فرحل إلى ألمانيا وإيطاليا وشمالى أفريقيا ، ودرس اللغة العربية فى باريس ، ثم قام برحلة إلى الشرق الأدنى عن طريق برلين وبطرسبرج ، وتوقف فى تفليس حيث تعلم اللغة الفارسية .

ودامت هذه الرحلة من عام ١٨٦٥ إلى عام ١٨٦٨ ، زار خلالها روسيا والقفقاس وإيران والعراق وكردستان وسورية وفلسطين وتركيا . وألّف فى ذلك كتاباً فى أربعة أجزاء باللغة الفرنسية التى كان يُجيدها كل الإجادة ، وخصّ معظم الجزء الثالث المطبوع فى بروكسل سنة ١٨٧٤ بالعراق التى وصلها عن طريق البصرة فى ٢٨ نوفمبر ١٨٦٦ ، وغادرها فى ٤ يونية ١٨٦٧ بطريق خانقين وقصر شرين إلى قرمنشاه ، بعدما أمضى نحواً من ستة أشهر فى بغداد ، التى جاءها على باخرة نهرية من البصرة فبلغها فى ٤ ديسمبر ١٨٦٩ . وعاد أنيهولت إلى أوربا فاتخذ مقامه فى باريس ، وتولى نشر رحلته التى لقيت اهتماماً كبيراً ، وزار بعد ذلك سورية سنة ١٨٦٩ ، ومصر سنة ١٨٧٠ثم فى سنة ١٨٧٥ ، تزوج فى بلدة «كان» بجنوب فرنسا ، وعاش فيها إلى وفاته فى ٧ ديسمبر ١٩٠٠ .

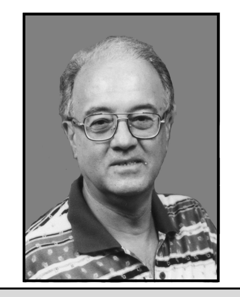
وهذا الرحالة الهولندى عندما وصل البصرة ، نزل بمنزل أحد الأرمن بها ، إذ بلغت الباخرة التى كانت تقله البصرة فى المساء ، فبات ليلته فيها ، وأصبح الصباح فركب قارباً حاملاً متاعه ليمضى إلى المدينة . وقد نزل فى دار أحد الرهبان الأرمن ، ووجد المدينة ضاحكة إلى حد ما .

كييوم لجان

آخر الرحالة الذين تضمنهم الكتاب ، وورد للأرمن ذكر فى رحلته ، هو سائح فرنسى يُدعى جييوم لوچان Guillaum Lejean (١٨٢٨ ـ ١٨٧١) ، طاف فى أرجاء آسيا وأفريقيا ، فزار بلاد البلقان ، وذهب إلى الحبشة سنة ١٨٦٢ ؛ ملبياً دعوة النجاشى تيتودوروس ، وصعد إلى أعالى النيل ، ثم عاد وتجول فى أنحاء الدولة العثمانية ، فقدم إلى العراق عام ١٨٦٦ ، فزار الموصل ، وانحدر فى دجلة إلى بغداد ، ومنها إلى البصرة ، وغايته الذهاب إلى الهند . ولقد ذكر أنه حلّ فى الموصل ثلاثة أسابيع وزار شمال العراق ، لكنه لم يصف شيئاً عن تلك الزيارة بمادة مستفيضة ، ففى نص رحلته لا يُوجد ما يشفى الغليل .

لكنه فى شمال العراق لاحظ أن اليزيديين يعيشون بين الأكراد لكنهم يتميزون عنهم ويتوزعون فى قرى متناثرة تنتهى فى أرمينية الروسية فيقول : «هناك جماعة أخرى جديرة بالاهتمام والدراسة نظراً للغموض الذى يكتنفها ، هى طائفة اليزيدية ، إنهم يعيشون بين الأكراد ويتكلمون الكردية ، لكنهم يتميزون عنهم ، ويتوزعون فى قرى متناثرة تنتهى فى أرمينية الروسية» .

فنون تشكيلية



زيارة لمعرض المثال سركيس طوسونيان

بقلم : هرانت كشيشيان

أقام المثال السكندرى سركيس طوسونيان (مواليد الإسكندرية فى عام ١٩٥٣) معرضه الفردى الخامس عشر بقاعة المعارض الفخمة لنادى أتيليه الإسكندرية الشهير ، وهو نادى حر يتضمن تجمعاً للفنانين والكتاب ، تأسس فى عام ١٩٤٣ م على يد أحد رواد الفن المصرى الحديث ، وهو الفنان محمد ناجى (١٨٨٨ - ١٩٥٦) .

لقد أُقيم هذا المعرض فى الفترة من ١٢ إلى ١٨ نوفمبر ٢٠١١ ، حيث عرض طوسونيان ٤٥ تمثالاً من إنتاجه منفذين بتقنية البرونز المجوف . وذلك بدءاً من أول قطعة منفذة بهذه التقنية المعقدة فى عام ٢٠٠٣ ، وهو تمثال «رغبة مكبوتة» (التنوع الثالث) إلى ١٦ قطعة منفذة خلال هذا العام .

أما الافتتاح فلقد تم بواسطة الفنان الدكتور محمد سالم ، الأستاذ المتفرغ بقسم التصوير الجدارى بكلية الفنون الجميلة بالإسكندرية . ولقد حضر المعرض فى يوم الافتتاح جمع غفير من متذوقى الفن بالإسكندرية وتمتعوا بمعرض من أهم المعارض التى أُقيمت هذا العام على مستوى مصر كلها .

كان الفنان قد أبلغنى فى سبتمبر الماضى بأنه سيُقيم معرضاً فردياً بالأتيليه ، وحينها تمنيت أن أتمكن من حضور الافتتاح لأننى أعرف أهمية فن طوسونيان وأتابع تطوره الفنى منذ أن تعرفتُ على فنه بفضل معرض جماعى للفنانين الأرمن المصريين أُقيم فى النادى الفنى الأرمنى بالقاهرة خلال نوفمبر ١٩٩٢ ، حيث كنتُ قد اشتركتُ بلوحتين . أما هو فلقد اشترك بست تماثيل برونزية . وعندما تأملت أعماله «اكتشفتُ» أنه فنان موهوب وجاد وأمامه مستقبل فنى باهر .

ولأسباب خارجة عن إرادتى لم أتمكن من حضور افتتاح المعرض ، ولكننى قمتُ بزيارته فى مساء يوم الإثنين ١٤ نوفمبر ٢٠١١ . وجاء هذا التأخير لصالحى فى الواقع ، لأن عدد الزوار كان قليلاً وبالتالى تمكنتُ من «الاستمتاع» بالأعمال المعروضة بحرية مطلقة ، علاوة على ذلك صاحبنى الفنان بنفسه خطوة بخطوة ولحوالى ساعتين ، فكانت تلك فرصة نادرة لمعرفة أفكاره الإبداعية وإجراء حوار بنّاء حول المعروضات بصفة خاصة وحول قضايا الفن بصفة عامة .

وأعتقد أن معرض طوسونيان هذا كان من أجمل المعارض الفنية التى شاهدتها فى حياتى كلها ، حيث كان انبهارى كبيراً منذ أول لحظة وضعتُ فيها قدمى على أرضية القاعة . والفضل فى ذلك يرجع أولاً لروعة معظم الإنتاج الفنى المعروض ، علاوة على فخامة القاعة وبراعة العرض ، لاسيما بالإضاءة التى

كانت ممتازة وترتيب القطع فى شكل متناسق . وبالطبع «المهندس» الأول وراء هذا التنظيم هو الفنان نفسه الذى بذل مجهودات ضخمة سواء فى إنتاج أعماله الممتازة أو فى تنظيم المعرض . ولا يسعنا هنا إلاّ أن نُهنئ ونشكر إدارة أتيلييه الإسكندرية ، التى تبذل دائماً أكبر الجهود لإبقاء شعلة الفن والثقافة مشتعلة .

لن أتحدث هنا عن تفاصيل حياة الفنان حيث كتبتُ عنها فى مقالات سابقة لى (أنظر مثلاً عدد أغسطس ٢٠٠٢ ، ص ٣ ـ ٧ من مجلة «أريف» الشهرية العربية) . ولكننى سأتحدث وبطريقة عامة عن المعروضات . فمعظم أعمال الفنان طوسونيان تحتوى على مضامين إنسانية شاملة ، يُعبر عنها خلال تشكيله للجسد الإنسانى حسب قواعد استنبطها من الفن المصرى القديم ومن المذاهب الفنية العالمية الحديثة . ولقد لاحظتُ أن معظم قطعه عبارة عن تشكيلات للجسد النسائى ، تُعبر بإنسيابية خطوطها عن الجمال فى أرقى صوره . ولكن جسد المرأة فى فن طوسونيان هو جسد «مثالى» من جهة و «مؤسلب» من جهة ثانية . فبإجراءات كالتلخيص والإلغاء يصل الفنان إلى الجمال مقدماً فى أسلوب واضح المعالم يقترب كثيراً من صرحية الفن المصرى القديم ، لكنه فى نفس الوقت أسلوب معاصر تماماً لا ينتمى إلاّ إلى عصرنا الحالى .

من المستحيل أن نُعطى القارئ وصفاً تفصيلياً للأعمال المعروضة فى مقال قصير كهذا ، ودون أن تكون لدينا فرصة رؤيتها فى شكل صور فوتوغرافية على الأقل ، ولكننى سأتحدث عن الأفكار الإبداعية للفنان بصفة عامة .

أولاً : هناك إحدى عشر قطعة من مقطوعات البورتريه لرؤوس نسائية تُعبر عن جوانب مختلفة فى شخصية المرأة . ويقول الفنان بأنه لم ينحت هذه الرؤوس على أساس النقل من الواقع ، بل هى رؤوس من ابتكار خياله ، ولقد أسماها بأسماء افتراضية لمجرد تمييزها عن بعضها الآخر . فهذه قطعة (رقم ٤٢) تُعبر عن رقة أنوثة المرأة وتلك قطعة أخرى تُعبر عن الكبرياء فى بعض النساء ، وأخرى تُعبر عن شفافية ورقة شخصية المرأة ، أما قطعة «ساندرا» (رقم ٣٢) فإنها رأس فتاة فى بداية حياتها حيث البراءة والنقاء ، وقطعة أخرى (رقم ٣١) تُمثل روح الشباب . . . إلخ .

بعد ذلك نجد قطعاً تُمثل الجسد الإنسانى مشكلاً بطرق مختلفة للتعبير عن أفكار مختلفة . فلدينا مثلاً قطعة «الرغبة المكبوتة» التى تُمثل جسد المرأة المكبلة التى تُحاول التخلص من حالتها تلك ، ولقد أنتج الفنان عدة «تنوعات» لهذه الفكرة الكبيرة التى تُمثل قضية المرأة منذ آلاف الأعوام عندما أصبحت «مكبلة» من قبل الرجل ، أى منذ أن انتقلت البشرية إلى مرحلة المجتمعات الطبقية فى العصر الحجرى الحديث .

وبتمثال الحرية (التنوع الثالث) يُعبر الفنان عن قضية أخرى من قضايا البشرية الكبرى . وهناك قطع أخرى تُعبر عن الجوانب الاجتماعية فى حياة المرأة مثل «العروسة» (رقم ٤) . وقطع أخرى تُعبر عن جمال الجسد النسائى كتجسيد رائع للطبيعة ، مثل القطعة رقم ٧ . أما التمثال المسمى «خجل» (رقم ٥) فيُعبر ببراعة عن جانب غريزى لدى المرأة .

لكن لا يكفى أن يُعبر الفنان عن مضامين إنسانية سامية ، بل عليه أن يُقدمها فى أشكال جذابة تتمتع بالأصالة والقوة التعبيرية . وهذا ما يُحققه الفنان فى أغلب أعماله . إن المضمون والشكل منسجمان تماماً فى أعمال المثال سركيس طوسونيان . ولإنهاء مقالى المقتضب هذا سأقول بأن بعض التماثيل التى عرضها فى معرضه يُمكنها أن تُعرض دولياً فى أهم قاعات وجاليريهات الفن . وهناك فى الواقع بعض القطع التى يُمكننا أن نعتبرها من روائع الفن المصرى الحديث برمته ،

مثل رقم ٤ «عروسة» ، ورقم ٥ «خجل» ، ورقم ٧ «امرأة» ، ورقم ١٠ «النبيلة» ، والمجموعة الثلاثية : أ) قيود «رقم ١١» ، ب) انفتاح «رقم ١٢» ، جـ) حرية «رقم ١٣» ، ثم البعض من مجموعة البورتريهات النسائية . . . إلخ .

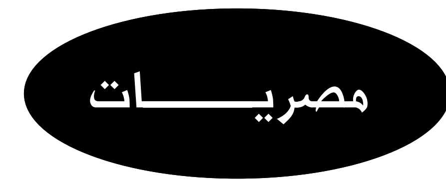
لدينا كلمة أخيرة نقولها عن أحجام تماثيل طوسونيان . فلقد أبدع الفنان تماثيل مختلفة فى الأحجام التقليدية الثلاثة للتمثال ، وهى التماثيل صغيرة الحجم (الارتفاع بالقاعدة حتى حوالى ٦٠ سنتيمتراً) التى يُعبر من خلالها عن فكرة بسيطة ، وهذه تماثيل «حجرة» إن صح التعبير . ثم التماثيل متوسطة الحجم (الارتفاع من ٦٠ إلى ١٢٠ سم بالقاعدة) التى تُمثل أحب الأنواع لدى المثّالين والنحاتين ، ولقد أبدع طوسونيان أجمل أعماله من هذا الحجم . ثم هناك النوع الثالث وهو التماثيل كبيرة الحجم التى تزيد ارتفاعها عن ١٢٠ سنتيمتراً وقد تصل إلى أحجام ضخمة كالتماثيل المصرية القديمة . هذا النوع يُمكننا تسميته بالتمثال الميدانى ، ولقد أبدع طوسونيان فى هذا النوع أيضاً عدة أعمال مهمة مثل تمثاله الرخامى الممتاز الموضوع خارج مكتبة الإسكندرية فى مواجهة البحر (٢٠٠٧) وتمثاله البرونزى الممتاز فى مطار القاهرة الجديد (المطار رقم ٣) وعنوانه انفتاح (٢٠٠٨) .

وختاماً نُهنئ المثّال سركيس طوسونيان بمناسبة إقامة معرضه الفردى الخامس عشر ، ونتمنى له الصحة والحياة السعيدة حتى نرى المزيد من إبداعاته فى المستقبل القريب والبعيد .

إصـــــــدارات

الكتابات التاريخية العربية عن الإبادة الأرمنية

صدر مؤخراً عن جمعية القاهرة الخيرية الأرمنية العامة كتاب «الكتابات التاريخية العربية عن الإبادة الأرمنية» من تأليف المؤرخ الأرمنى المرموق نيقولاى هوڤهانيسيان . ويقع الكتاب فى «٢٠٨» صفحة (١٧ × ٢٣) ، وينقسم إلى ثلاثة عشر فصلاً . ويتأمل المؤلف قضايا حاسمة فى المؤلفات التاريخية العربية مثل أسباب وطبيعة الإبادة الأرمنية ، ووسائل وآليات اقترافها . ويُركز بصفة خاصة على حقيقة استخدام المؤرخين العرب لمصطلح «الإبادة الأرمنية» Armenocide على نطاق واسع وتصويرهم لهذه المذابح بأنها «أكثر المذابح إبادة» . وقد اهتم المؤلف بتأكيد الموقف الخيرى للعرب تجاه اللاجئين الأرمن أثناء تلك الأوقات الكابوسية للمذبحة . وتجدر الإشارة إلى أن الكتاب موجه إلى المختصين فى الشئون الأرمنية والعربية والتركية والشرقية ، وكذا الشئون الدولية وعلم إبادة الأجناس . ونظراً لأهمية الكتاب ، نلفت أنظار قراء «أريك» الكرام بأننا سنعرضه عليهم فى الشهر القادم إن شاء الله .



اللوتس فى الحضارة المصرية القديمة



بقلـم : أيمـن سالـم

كان المصريون مغرمين بزراعة الحدائق وتنسيقها. وتُبين المناظر التى عُثر عليها على جدران المقابر المختلفة شدة ولعهم بها وبالأشجار والأزهار المختلفة المنتشرة فيها. كما عنوا بتربية الأزهار عناية فائقة ، وكانت تحتل مكانًا بارزًا فى حياتهم اليومية، فيتزينون بها ويقدمونها لضيوفهم فى الولائم والحفلات، وكان من بين أهم الأزهار التى عرفوها اللوتس بأنواعه المختلفة. فقد كان من النباتات المهمة فى حياتهم؛ ولذا كانت له أهمية كبيرة فى مختلف أنشطتهم وحياتهم اليومية ومعتقداتهم الدينية، فقد كانت أعياد المصريين وحفلاتهم ذات صلة وثيقة بالطبيعة المزدهرة؛ فيبدو ولع المصريين بالزهور واضحًا جدًا فى التصوير اليومى، وحياتهم الرسمية والترفيه الشخصى وفى المنازل، والحدائق، والمعابد والأماكن المختلفة.

ويُعد هذا النوع من الأزهار من بين أهم النباتات التى ارتبطت بمصر على نحو مميز، حتى أن السائح العادى يضرب المثل بالنظام الذى توجد به هذه النباتات فى العمارة المصرية والتصميم المُذهل، فقد استُخدمت هذه النباتات الرقيقة؛ كأسلوب سهل وثابت للإبداع والخلق فى البيئة المصرية. ولما كان اللوتس كثير الوجود فى مصر الفرعونية وشائع الاستعمالات، اعتُبر الرمز الزهرى لمصر القديمة، ولم ينافسه البردى فى تلك المكانة.

وهناك ثلاثة أنواع من اللوتس فى مصر القديمة هى اللوتس الأزرق (نيمفيا كوريوليا) Nymphaea Caerule، ووُجدت مناظر هذا النوع من اللوتس على الآثار المصرية المختلفة، وقد أُطلق على هذا النوع اسم «سربت» و«سربد» srpd . والنوع الثانى هو اللوتس الأبيض (نيمفيا لوتس) Nymphaea lotus وقد عُرف هذا النوع أيضاً فى مصر القديمة، حيث ظهر يُزين مناظر الآثار المختلفة ومناظر الحياة اليومية، وكان يُنسق أيضًا ضمن أكاليل الزهور، وظهر بكثرة فى أيدى العديد من السيدات والفتيات فى مصر القديمة وهن يستنشقونه، وكان دائماً يُصور فى الفن المصرى بأوراقه وتويجاته كاملة، وكذلك الأمر فى حالة تصوير البراعم أو الزهور مما يجعل التعرف عليه أمرًا يسيرًا . وكان المصريون القدماء يسمونه «سشن» وهو اسم ليس بعيد فى معناه عن الاسم القبطى «شوشن» الذى حرف فى العربية إلى «سوسن» .

أما النوع الثالث فهو اللوتس الوردى (نيلمبيم سبسيوزم) Nelumbium Speciosum، وقد أطلق عليها المصرى القديم اسم «نخب»، وسماه هيرودوت زنبق النيل الوردى، وكان يُسمى كذلك بالفول المصرى، وهى التسمية نفسها التى اتفق عليها العالم الأثرى الراحل سليم

مدرس مساعد الآثار المصرية
كلية الآداب –جامعة دمنهور

حسن. وكان هذا النوع من اللوتس ُيؤكل فى مصر القديمة. أما براعم اللوتس فقد أطلق المصرى القديم عليها «نحبت» .

وقد استخدم اللوتس فى صناعة العطور ، فمنذ الألف الثالثة ق.م وقعت الزراعة فى وادى النيل فريسةً لمراحل كبيرة من الجفاف أصابت شرق إفريقيا، فقد شهدت تراجعًا فى متنوعها، كما أن العديد من الأنواع النباتية لم يُعد يتواجد حتى فى عصرنا هذا، إلا فى المناطق النائية من وادى علاقى وشرق وادى حلفا، كما كان الحصول على المنتجات المحملة بالأريج اللطيف، تتوافر ضمن العديد من المصادر الأخرى فى المناطق الرطبة لشواطئ النهر فى الأرض المروية وفى الحدائق.

وقد استُخدم اللوتس فى الأعياد الدينية والاحتفالات، وليس أدل على ذلك من انتشاره الواضح فى مختلف مناظر المقابر والمعابد، سواء بين القرابين أو المقدمة للمعبودات المختلفة أو فى المناسبات الأخرى، كما كان دائمًا ُيزين الحدائق والمنازل الخاصة. فكان يظهر بين الولائم والمآدب تصحبه عقود الأزهار الكبيرة، وذلك بهدف تمكين المتوف بالاستمتاع بالأزهار فى العالم الآخر. وكانت أزهار اللوتس ُتقدم فى الأعياد والولائم، يطوف بها الخدم والخادمات على المدعوين يوزعونها عليهم، وُتقدم للضيوف فى الحفلات رمزاً للتحية والإكرام، فيلهو بها الضيف ويشمها.

وفى الجانب الطبى استُخدم اللوتس أيضاً كنبات فى بعض الوصفات الطبية، فكانت له أهمية واضحة فى هذا المجال، فقد أشارت أوراق البردى الطبية إلى اللوتس ضمن عدد من الوصفات والعقاقير الطبية المختلفة لعلاج بعض الأمراض نذكر منها: «ورق اللوتس الأبيض» كعلاج للبول الدموى. ومن العقاقير التى أشارت إليها قراطيس البردى الطبية لتسكين ألم الرأس (الصداع) أن تُسحق كميات متساوية من زهور اللوتس الأبيض مع الكمون، والكلخ، والمر، والزيت، وثمار العرعر، ثم تُعصب بها الرأس لتسكين الألم، ومن أهم ما ورد فى فائدة ورق اللوتس الطبية أنه كان ضمن عقار يُؤخذ عن طريق الفم كعلاج للكبد، ويتألف العقار من ٤رو ورق لوتس، ٢٠ رو نبيذ، من مسحوق التين، ٢رو من اللبن، ٢رو من ثمار العرعر، نصف رو لبان دكر، ٢٠ رو حبة حلوة، ويُترك هذا المخلوط فى الندى طوال الليل، ثم يُصفى ويُؤخذ على مدى أربعة أيام متتالية.

وفى طعامهم استخدم المصريون القدماء اللوتس، حيث كان ينمو بوفرة كبيرة فى مناطق المناقع، ولهذا كثيراً ما كانت تستعين بعض الطبقات الفقيرة من سكان المناقع فى الدلتا وغيرها على تكاليف الحياة، بصنع طعامها من عناصر هذا النبات. ويذكر هيرودوت عن القاطنين فى المناقع أنهم وتوفيراً للحبوب، ابتكروا طرقاً أخرى، فعندما يمتلئ النهر وتُصبح السهول بحاراً؛ ينمو اللوتس فى الماء بكميات وفيرة، ويُسميه المصريون البشنين، فيجمعون هذا ويُجففونه فى الشمس، ويأخذون ما فى وسط البشنين من حب وهو يُشبه الخشخاش ويطبخونه، ويصنعون منه أرغفة يخبزونها على النار.

وتمتاز ثمرة اللوتس، بوفرة حبوبها وغزارة محصولها، وهى حبوب رفيعة بنية اللون ذات لبة بيضاء دسمة، وكانت حبوب اللوتس تُفصل عن غلاف الثمر بعد وضع الثمار فى أكوام تُترك حتى تتعطن وتجف القلفة، ويتفتت الغلاف الخارجى الأملس للثمرة، وتتفتح ثقوبها وتتسرب منها البذور، التى كانت تُجمع ثم تُنظف ثم تُغسل بالماء ثم تُترك لتجف، وتُعبأ بعد ذلك وتُدق ـ حسب الطلب ـ لتُصبح دقيقًا، يُصنع منه الخبز. وتُعد هذه قطرة من فيض النيل العظيم نبع المياه والخضرة، ذى الانعكاسات الخضراء تحت أشعة الشمس الساطعة حيث تظهر أيكات البردى واللوتس وتُلقى بظلالها.